حدوتة الأنبا جرجي
هكذا يحارب المدلسون الإسلام

د. إبراهيم عوض





بين المسيح والنبي محمد في القرآن والإنجيل (16)
حقائق الإسلام الدامغة وشبهات خصومه الفارغة
الرد على ضلالات زكريا بطرس
حدوتة الأنبا جُرجِي: هكذا يحارب المدلسون الإسلام!

منذ نحو عشرة أيام وصلتني من زكريا بطرس رسالة مشباكية (إيميل) تتضمَّن حدوتة تبشيرية مضحِكة لا يصدِّقها إلا أبله، تدور حول ما يزعُم كاتبها أنه مجادَلة قامت بين راهب نصراني وثلاثة شيوخ من أئمة المسلمين في العصر الأيوبي، وتحدَّاني أن أردَّ عليها، وكالعادة أهملتها، وإن اتخذتها مع ذلك فرصة للسياحة في كتب التاريخ لعلِّي أصل إلى أية معلومات تتعلق بطرفي المجادلة المزعومة، فلم أصل إلى شيء، إلا أن العزم صحَّ مني فجأة منذ أربعة أيام على التعليق على هذا السُّخف المتخلف الذي يحسب زيكو أنه يشكل تحدِّيًا مستحيلاً سنقِف أمامه حيارى لا نُحير جوابًا، وهو ما يدلُّ على أن مستواه الفكري والعقلي على درجة كبيرة من الضحولة والانحطاط، وأنه فعلاً كما قيل ليس أكثر من آلة دعائية يُبرمِجونها ويُطلِقونها على المسلمين على أمل أن يَنشُر بينهم الشكَّ في دينهم وحضارتهم وتاريخهم ورموزهم، وكانت نتيجة ذلك العزم هي المقالة التالية التي أنهيتها البارحة (الجمعة 16 يونيو 2006م) قبل مباراة الأهلي والزمالك في نهائي الكأس بنحو ربع ساعة.

هذا، ولم أفعل في الرد على تلك الحدوتة المتخلِّفة مثله هو وأشباهه، إلا المضي في قراءتها فِقرة فقرة، والردُّ مباشرة على ما جاء في تلك الفقرات أولاً بأول، اللهم إلا إذا احتاج الأمر التثبُّت من شيء، فعندئذ كنت أرجِع إلى هذا الكتاب أو ذاك، وتتلخَّص تلك الحدوتة المتخلِّفة في أن جماعة من الرهبان الحلبيِّين ذهبوا لمقابلة الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب في شأن من شؤون الدير الذي يَسكنونه، فتصادَف مجيء ثلاثة من أئمة المسلمين وهم في حضرة أخيه الأمير المشمّر، وجرتْ بينهم وبين أحد أولئك الرهبان، واسمه الأنبا جُرجِي، مناظَرة بين الإسلام والنصرانية خرج منها دين التثليث منتصِرًا بالضربة القاضية على دين التوحيد، وقد أظهرتِ الحدوتة المضحِكة الأمير الأيوبي منحازًا طول الوقت إلى الجانب التثليثي شامتًا بالمشايخ "المساكين المحتاسين" العاجزين عن الردِّ والفَهم، بل زاد على ذلك فأسرَّ إلى الراهب المذكور، على مرأى من



الحاضرين، أن أمَّه نصرانية رومية... والحدوتة تصرُخ بأعلى حسها أنها مصنوعة صنعًا كما سنبيِّن بالدليل القاطع الذي لا يمكن نقْضه بأي حال، وأن شيئًا مما ورد فيها لم يقع، وأن المقصود منها هو مكايدة المسلمين ورفْع الروح المعنوية لجماهير المثلِّثين عن طريق إيهامهم أن أئمة المسلمين أنفسهم لا يستطيعون الوقوف أمام ضياء التثليث الباهر الذي يُعشي العيون!

والآن إلى مناقشة الحدوتة التي أعتذِر للقراء مقدَّمًا عن نزولي إلى مستواها؛ إذ لا يَليق في الواقع أن آخذ مِثل تلك التحدِّيات الطفولية مأخذ الاهتمام، إلا أنني قد لاحظت أنها منشورة في مواقع تبشيرية كثيرة، ومعنى هذا أن من القراء الخالي البال مَن قد يظنُّ أنها قصة حقيقية، فقلت: إنها فرصة لفضْح أساليب الكيد الرخيص الذي يلجأ إليه القُمُّص المعتوه وأمثاله في محاربة الإسلام حتى يعرف القاصي والداني أن القوم مفلِسون تمام الإفلاس، وأنهم إنما ينتهِزون سانحة ضعف المسلمين في العصر الحالي وهجوم الثور الأمريكي الأحمق على المنطقة، للتنفيس عن أحقادهم والجري في بيداء الأوهام التي تُصوَّر لهم، كما يصرِّح زيكو منتشيًا وشامتًا: "إن ساعة الإسلام الأخيرة قد دنت، وأن المسألة مسألة وقت"، أما نحن فواثقون بعون الله، رُغم الفروق الهائلة بيننا وبين الأمريكان في العتاد والسلاح والتقدُّم العلمي والتِّقَني، أن الثور الأمريكي الأحمق سوف تكون نهايته بمشيئته - سبحانه - على يد أبطال المقاومة العربية والإسلامية، وإن كان هذا لا يعني أننا بعدها سنكون عال العال؛ إذ لا بد من النهوض مما نحن فيه من بلادة حضارية، وكراهية للعِلم والعالِمين والعمل والعاملين، ونفور من النظافة والجمال، وعداوة للنظام والتخطيط والطموح، وعجز عن الابتكار، وجُبن أمام المجهول، وقِصَر نفس وباع في ميادين الصبر على مشقَّات العمل والإتقان والتجديد والتحسين، لا الصبر على الهوان والمذلَّة والظلم والرضا به والاستزادة منه والركوع أمام الظالم، وبخاصة إذا كان هذا الظالم حاكمًا من الحكام... وهو أمرٌ طبيعي؛ إذ "كما تكونوا يولَّ عليكم"... وإلا لكنا قد مِتنا منذ وقت طويل من الغمِّ والقهر بسبب ما نحن فيه، أو على الأقل: توارَينا خجلاً! أما النصر الذي سيبوء به المسلمون بمشيئة الله فهو بفضل أبطال فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من المجاهدين الذين لم يفُتَّ في عَضُدهم شيء من عوامل الإحباط ولا يَهابون أمريكا ولا أذيالها من أمتهم، لعنة الله على كل ذيل تعيس!



والآن تعالَوا، أيها القراء الأعزاء، لنرى ما في جعبة الحاوي من كتاكيت يخرِجها من كمِّه يحاول إيهامنا أنه يأتي بها من الهواء! والقصة بالمناسبة، قد تبنَّاها ونَشَرَها راهب يقول: إنه من المرسَلين الكاثوليكيين العاملين في إفريقيا، وإنه اعتَمَد في نشره لها على عدة مخطوطات يرجِع أقدمها إلى ما بعد تاريخ وقوع المجادلة المزيَّفة بثلاثة قرون وربع القرن، وإنه ليس هناك أية معلومات تاريخية، لا في كتب المسلمين ولا في كتب النصارى، عن الأنبا جرجي أو المشايخ الثلاثة الذين جادَلوه، وعنوان الحدوتة هو "مجادَلة الأنبا جرجي الراهب السمعاني مع ثلاثة شيوخ من فقهاء المسلمين بحضرة الأمير مشمّر الأيوبي"، فعلى بركة الله إذًا، وسوف يتبيَّن بما لا مجال معه للشك أن الحكاية ليست أكثر من حدوتة لم يُحسِن ملفِّقها تزييفها فجاءت وبالاً على كل من اشترك في كتابتها وتحريرها ونشْرها والتحدي بها، ومثَّلت فضيحة مدويَّة للجميع كما سيتَّضِح حالاً،

وأول داهية من الدواهي الثقيلة التي أوقَع نفسه فيها محقِّق القصة الكذاب مِثل كاتبها الكذاب هي أول جملة في التقديم، وها هي ذي: "من سِمات كنيسة المسيح الظاهرة أن تدعو جميع الناس في كل عصر ومصر إلى دين الله بحسب البيان وجميل الإحسان عملاً بأمره، له المجد: بشِّروا بالإنجيل في الخليقة كلها"، ووجه الكذب والتدليس في هذا الكلام أنه لم يكن هناك، في اعتقاد النصارى، وجود للإنجيل قبل ترْك السيد المسيح للدنيا، إذ الأناجيل (حسب كلام النصارى، ولاحظ: "الأناجيل" لا الإنجيل) إنما كُتبت بإلهام من الروح القدس بعد ذلك، أما في حياة عيسى ابن مريم على الأرض فلم يكن ثَمَّة أناجيل ولا يحزنون، فأي إنجيل كان هناك إذًا (حسب كلام المحقِّق الكذاب الذي لا يعرِف كيف يُداري كذِبه وتدليسه، إذ من نِعم الله على العباد أن الجريمة الكاملة لا وجود لها في الحياة) حتى يكلِّف المسيح تلاميذه بالدعوة إلى دين الله من خلال التبشير به؟ أما إذا قالوا: إنه كان في حياته - صلى الله عليه وسلم - إنجيل أو أناجيل، فالسؤال الذي ينبثِق في الذهن على الفور: وأين ذلك الإنجيل، أو تلك الأناجيل؟ من ثَمَّ كان على محقِّق الكتاب المزيَّف المملوء بالتُّرَّهات والأباطيل والتناقُضات والأكاذيب أن يجيب على هذا السؤال بدلاً من خوتة الدماغ التي لا يَنُونَ عن إزعاجنا بها كلما حاولوا أن يردُّوا على اتهامنا لهم بالتلاعب في الإنجيل والعبث به، إذ يتساءلون وبراءة الأطفال في عينَيهم: إذا كان هناك إنجيل صحيح تمَّ العبث به،



فأين ذلك الإنجيل؟ ولماذا لم يعثُر أحد ولو على نسخة واحدة منه يتَّضِح منها الاختلافات التي يتحدَّث عنها المسلمون؟ وسوف نردُّ على هذه النقطة فيما بعد، أما الآن فتعليقنا هو: إذا كان هناك إنجيل في حياة السيد المسيح كما تقول العبارة المنسوبة له - عليه السلام - فعليكم أنتم أن تُخبِرونا بموضعه وتُحضروه لنا حتى نقارِن بينه وبين الأناجيل التي بين أيديكم والتي إنما أُنجزت بعد انتقال عيسى ابن مريم عن الدنيا، وتُحيط بها الشكوك والشبهات من كل جانب، سواء فيما يتعلَّق بمؤلِّفيها أو بتواريخ كتابتها أو الظروف التي كُتبت فيها، أما إذا قلتم: إنه لم يكن هناك أناجيل في حياته، فعليكم في هذه الحالة أن تقِرُّوا بأن هذا الكلام المنسوب للسيد المسيح - عليه السلام - في الأناجيل الحالية عن وجوب التبشير بالإنجيل في كل الأمم هو كلام كاذِب لم يَقُلْه المسيح، لأن الإنجيل لم يكن قد وُجِد بعد.

ثم داهية ثقيلة أخرى هي الفقرة الثانية من التقديم الذي قدَّم به لها محرِّرها، إذ يقول ما نصُّه: "إن دين المسيح لم يستطِع أن يَحجُبه الإسلام بحُجَّته الكبرى التي هي الجهاد وقتال من لا يَدين به، ولم يقطَع سيفه كل لسان ولم يكسِر أقلام ضِعاف الرهبان الذين هم أخصُّ دُعاة النصرانية الموصوفون بـ: "جند الكنيسة"، ومن هؤلاء الشُّجعان الذين أرهَفوا القلم، وأحسَنوا البيان الأنبا أو الأب جرجي أحد رهبان دير القديس سمعان الذي موقعه في جبل سمعان في ولاية حلب، الذي كان من أعظم وأشهر ديارات البطركية الأنطاكية"، ففي هذه الفقرة نقرأ أن الإسلام لم يمنَع واحدًا كالأنبا جرجي أو غيره من التبشير بالإنجيل بين المسلمين، حتى في حضور أمرائهم ومواجَهة شيوخهم، فما معنى ذلك؟ معناه ببساطة ووضوح أن كل ما يُزيِّفه المزيِّفون ويدلِّس به المدلِّسون الأفَّاكون المشاؤون بالنميم بين الأمم والطوائف المثيرون للفتن عن الضغوط التي تعرَّض ويتعرَّض لها النصارى في بلاد المسلمين هو كلام لا أساس له من الصواب، وإلا أفلو كان الإسلام يضطهِد الأديان الأخرى أكان أتباعها يستطيعون أن يفتحوا أفواههم مجرد فتح، فضلاً عن أن يدخُلوا مع أئمة الإسلام في جِدال من أجل نشْر دينهم وتَخطئة دين المسلمين؟

إذًا فالإسلام لم يضطهد الأديان الأخرى، بل أفسَح لها صدره وحمى أهلها، وأسبَغ عليهم كرمه وعطْفه، ولم يفكِّر مجرد تفكير في استئصالهم مِثلما استأصَل النصارى كلَّ من يخالِفهم في الدين فلم



يسمحوا له أن يُعايشهم في وطن واحد، كما هو الحال في الأندلس مثلاً حين أجبر فرناندو وإيزابلا ومن جاء بعدهما عشرات الملايين من المسلمين الإسبان أهل البلاد على التنصُّر، وإلا فالحرق أو الإغراق أو الحشر في نعوش مبَّطنة بالمسامير الضخام تُغلَق على من بداخلها فتخترِق المسامير بطنه وظهره وصدره وعينَيه ورأسه وقفاه وفخذيه وساقيه وقدميه ويديه في الحال وتهرِسه هرسًا وتحوِّله إلى مصفاة من اللحم والعظام (اللهم لطفًا!)، وهو ما يُمثِّل أسلوبًا واحدًا من أساليب محاكم التفتيش التي أُقيمت لإرضاء الرب ونشْر دينه، دين الرحمة والتواضع والسلام! وكما هو الحال أيضًا في الأمريكتين حيث تمَّ القضاء على دين أهل البلاد تمامًا فلم يعد له من أثر، بل حيث تم القضاء أيضًا على أهل البلاد أنفسهم في أمريكا الشمالية، وعلى عشرات الملايين منهم في أمريكا الجنوبية! وإن كنت ناسيًا أفكِّرك بكتاب المطران برتولومى دي لاس كازاس: "المسيحية والسيف"، الذي ترجمته سميرة عزمي الزين، وبمقال فنسينزو أوليفيتي الذي ترجَمه العبد لله ونشَره على المشباك بعنوان: "العنف النصراني في التاريخ، ولا داعي لذكْر غيرهما، ففيهما الكفاية بمشيئة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ومِثل ذلك قُلْ عن الأستراليين الأصليين الذين لم يعُد لهم وجود في بلادهم بعد أن دنَّستْها أقدام نصارى أوروبا، ودمَّرت كل شيء يخصُّهم من حضارة وثقافة ودين، ثم دمَّرتهم هم أيضًا فلم تكد تُبقي منهم باقية على ظهر البسيطة! أما تشريع القتال فهو فعلاً موجود في الإسلام، ذلك الدين العظيم الذي لم يبرَع أصحابه في تسويقه بالحق براعة النصارى في تسويق دينهم بالباطل حين ادَّعَوا أن دينهم هو دين الرحمة والسلام، على حين أنهم في احتلالهم للبلاد الأخرى لا يعرفون رحمة ولا سلامًا، على عكس الإسلام، الذي ينصُّ فعلاً على قتال المعتدين حين لا يكون أمام أهله مناص من القتال، وبعد أن يستنفِدوا كل سُبُل السلام والتفاهم مع أعدائه، لكنه رُغم كل هذا يحرِص على العدل والإنسانية والتسامح ما أمكن مع هؤلاء الأعداء، فإذا بأصحاب دين الرحمة والسلام يشنِّعون عليهم وعلى نبيهم، ويتهِموهم بما ليس فيهم ولا في دينهم، اعتمادًا على آلة الإعلام الجهنمية التي يمتلِكها الأقوياء منهم في الدول المتقدِّمة، ويستثمِرها سائرهم في كل أرجاء الأرض بالكذب الفاجر المتوحِّش الذي لا يعرف الحياء!



وعلى كل حال ها هو ذا كاتب الحدوتة يُعلِن كيف عومِل الرهبان والقساوسة من قِبل الأمير الأيوبي المسلم: "اتفق أن رئيس دير القديس ماري سمعان العجائبي البحري حضر بين يدي الأمير والسلطان صاحب مدينة حلب وأعمالها حيث كان ينزِل جيشه في الفضاء الذي بين عُمَّ وحارم، وكان حضور الرئيس لدى الأمير لأجل حوائج عرَضتْ له من حوائج ديره ومصالحه، فلما مَثُل بين يدي السلطان مع من كان قد صَحِبه من الرهبان قَبِلهم أحسن قَبُول، وأمَر بقضاء حوائجهم وما التمسُوه، ورسَم لهم النزول في خيمة أخيه الملك المشمر، فحين حضر بين يدي الملك المشمّر قَبِلهم أحسن قَبُول بغاية الإكرام والإجلال، ولما نظر إلى الشيخ أنبا جرجي استلذَّ بالنظر به وأدناه إليه ورسَم له الجلوس بقُربه، ولما عاد الرئيس من عند السلطان ليكمِل حوائجه تمسَّك الأمير بالشيخ وأخذ يحدثه ويسأله عن أمور الدين والرهبان وعيشتهم وسيرتهم وتصرُّفهم"، فضلاً عما ذكرتْه الحدوتة في نهايتها من إتحاف الأمير للرهبان بوَسق بغل سمكًا، وبغلة من بغاله الأميرية مسرَجة، وواضح أن ما حدَث لهم من الإكرام والترحيب لم يكن شيئًا استثنائيًّا، بل كان أمرًا معتادًا، وإلا لَمَ يفكِّروا أصلاً في المجيء والمثول بين يدَي الحاكم المسلم، أليس هذا ما يقول به المنطق؟ علاوة على أنه لم تصدُر عن الكاتب أية كلمة تدل على أن هذا الاستقبال الذي حظي به الرهبان والقساوسة كان شيئًا غريبًا لم يتوقَّعوه، لكن الخبيث القليل الأدب لا يريد أن يقِرَّ بجميل للمسلمين، بل ينزِل على حُكم طبيعته الثعبانية السامة فيعَض اليد الكريمة التي امتدَّت له بالحسنى! ألا لعنة الله على الحقدة المارقين الذين يعامِلهم الإسلام أجمل المعاملات فلا يكون منهم إلا أن ينقلِبوا عليه فيتهِموه كذبًا وزورًا بكل نقيصة فيهم، وإن كنا نشك في الحدوتة كلها، لكننا إنما ندينهم بما تَخُطُّه أيديهم النجسة الدنسة! (بالسم الهاري يا بعيد) السمك الذي أطعمكم إياه الأمير رغم أننا لا نصدِّق حدوتتك، وبخاصة أنك تقول: إن الأمير قد أمَر حاجبه الموجود عند مسمكته أن يُعطي السمك الرهبان "معافى مبرأً من سائر الغرامات والحقوق"، وكأن عطايا الملوك والأمراء في تلك الأيام كانت تخضَع للمحاسبة الضريبية وأمثالها، فأراد الأمير أن يستثني الرهبان منها! عال والله! هذا ما كان ينقصنا في يومنا العجيب! كما تذكُر الحدوتة أن اسم الحاجب هو تمام السياري، وقد حاولت العثور على هذا الاسم في مواقع المشباك المختلفة، وبالذات في المواقع



التي توجد فيها عادة كتب ذلك العهد فلم أُفلِح في الوصول إلى شيء! وأغلب الظن أنه اسم منتحَل كأسماء بياعي البطاطة الثلاثة الذين اخترَعهم خيال الكاتب السقيم وجعلهم من "أئمة الإسلام"!

وبالإضافة إلى ذلك نرى الأمير يوقِّع باسم "المشمّر الملكي"، وهذا غريب، فالمعروف أن لقب "المشمّر" إنما أطلَقه الأمير على نفسه (حسبما كتب بعض المؤرِّخين) إشارة إلى أن أباه لم يُعطه مملكة كبعض إخوته، فكيف لم يستخدِم لنفسه إلا هذا اللقب الذي يرمُز إلى الحرمان، مع أن له لقبًا آخر فخمًا ليست له هذه الإيحاءات السلبية، وهو "الظافر"؟ ثم، وهذا مجرَّد استفسار، هل كان أحد من الأمراء الأيوبيين يصف نفسه بـ: "الملكي"؟ ليس ذلك فحسب، إذ يقول الكذاب النَّجِس: إن المصيدة كانت عند برزة، أتدري، أيها القارئ، أين تقع برزة؟ إنها في غوطة دمشق، ونهرها (الذي سوف يأخذ الراهب السمك منه) هو نهر محلي صغير ينبُع من عين هناك، ولا يَزيد طوله كثيرًا عن عشرة كيلو مترات، والمسافة بين دمشق ومنطقة حلب حيث جرت أحداث الحدوتة، وحيث كان دير الرهبان هي فوق الثلاثمائة والخمسين كيلو مترًا، أي إن الكذاب يريد أن يُفهِمنا أنهم قد خرجوا عن مسار عودتهم إلى ديرهم عدة مئات من الكيلومترات كي يحصُلوا على وسقِ بغل سمكًا، وأن الأمير لم يجد في ممتلكاته إلا هذه المصيدة التي يقطع الوصول إليها الأنفاس كي ينْعم على الراهب ببعض ما يُصاد منها من سمك! هذا ليس سمكًا، هذا سمك، لبن، تمر هندي! ثم بالله كيف يمكن أن يبقى السمك طوال العودة سليمًا لا ينتن، ومعروفٌ بطء وسائل المواصلات في ذلك العهد وعدم وجود حافِظات للحم والسمك وأمثالها من الأطعمة التي تفسد سريعًا؟

وهذا النهر، كما هو واضح، لا يتْبَع مملكة حلب، التي كانت تحت إمرة الملك الظاهر، بل يقع في مملكة دمشق، التي كانت تحت سلطان أخ آخر هو الملك الأفضل، الذي كان يتْبَعه الأمير المشمّر (اسمه الحقيقي "الخضر"، ولقبه الرسمي "الظافر" كما سبَق بيانه)، ولعل في ذلك ما يفسِّر أن المصيدة التي يَملِكها الأمير كانت في دمشق لا في حلب، وإن ظنَّ محقِّق الحدوتة أنه كان تابعًا لأخيه الملك الظاهر صاحب حلب (الذي لم يكن شقيقًا له)، على عكس "الأفضل" (الذي كان



أخاه لأبيه وأمه معًا)، وهذه عبارته: "ويظهر أنه كان من أتباع أخيه الملك الظاهر غياث الدين غازي صاحب مدينة حلب أصغر أولاد صلاح الدين، ومن ثم كان الأمير المشمر أقلَّ شأنًا من أخيه الملك الظاهر الذي مات في حلب ودفِن في قلعتها سنة 617 للهجرة التي توافِق سنة 1216 مسيحية عندما جرت هذه المجادَلة، ولعله كان تابعًا لأخيه المذكور"، والصواب ما ذكرناه من أنه كان تابعًا للأفضل، أما الذي كان تابعًا للظاهر فهو شقيقه الأمير داود، وكانت في يده قلعة البيرة على الفرات، يقول النويري في "نهاية الأرب": "استقرَّ مُلك دمشق وما معها للملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي، وهو أكبر أولاده ووليُّ عهده، وعنده أخواه شقيقاه الملك الظافر خضر والملك المفضَّل موسى، واستقرَّ مُلك حلب وما يليها للملك الظاهر غياث الدين غازي، وعنده أخوه الملك الظاهر، فجعله من قِبَله على البيرة"، وفي "النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي أن أولاد صلاح الدين "كانوا ستة عشر ذكرًا وابنة واحدة: أكبرهم الأفضل علي، ولد بمصر سنة خمس وستين يوم عيد الفطر، وأخوه لأبيه وأمه الملك الظافر خضر، ولد بمصر سنة ثمان وستين، وأخوهما أيضًا لأبيهما وأمهما قطب الدين موسى، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين، فهؤلاء الثلاثة أشقَّاء، ثم الملك العزيز عُثمان الذي ملك مصر بعد أبيه، ولد بها سنة سبع وستين، وأخوه لأبيه وأمه الأعز يعقوب، ولد بمصر سنة اثنتين وسبعين، والملك الظاهر غازي صاحب حلب، ولد بمصر سنة ثمان وستين، وأخوه لأبيه وأمه الملك الزاهر داود، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين، والملك المعزُّ إسحاق، ولد سنة سبعين، والملك المؤيد مسعود، ولِد بدمشق سنة إحدى وسبعين، والملك الأشرف محمد، ولد بالشام سنة خمس وسبعين، وأخوه أيضًا لأبيه وأمه الملك المحسن أحمد، ولد بمصر سنة سبع وسبعين، وأخوه أيضًا لأبيه وأمه الملك الغالب ملكشاه، ولِد بالشام سنة ثمانٍ وسبعين، وأخوهم أيضًا لأبيهم وأمهم أبو بكر النصر، ولِد بحران بعد وفاة أبيه سنة تسع وثمانين، والبنت مؤنسة خاتون تزوَّجها ابن عمها الملك الكامل ابن الملك العادل وماتت عنده، وملَك بعد السلطان صلاح الدين مصر ابنه الملك العزيز عثمان، وملَك دمشق بعده ابنه الملك الأفضل علي، وملك حلب ابنه الظاهر غازي كما كانوا أيام أبيهم"، وإن كنت لا أحبُّ أن أقف عند هذه النقطة أطول من ذلك، رغم إمكان اتِّخاذها دليلاً إضافيًّا على الاضطراب والتدليس في تلك



الحدوتة؛ إذ ثم سؤال يفرِض نفسه هنا، ألا وهو: ماذا كانت صلاحية الأمير الظافر في حلب بحيث يقوم بتضييف الرهبان المذكورين، ولم تكن له صفة رسمية في تلك المملكة؟

كذلك ففي هذه الفقرة الأخيرة يوقِع المحقِّقَ في المهالك غباؤه مرة أخرى، فيكون في هذا برهان جديد على أنه لا توجد جريمة كاملة أبدًا، مهما ظن مرتكِبها أنه قد احتاط فيها لكل شيء فسدَّ كل الثغرات ولم يترك وراءه قط أي أثرٍ يمكن أن يكشف أمره، إذ قال الكذاب عن الأنبا جرجي المزعوم: إنه "من هؤلاء الشجعان الذين أرهفوا القلم وأحسَنوا البيان"، مع أن راوي الحدوتة المضحِكة قد ذكَر أن ما جرى على لسان ذلك الأنبا (الذي ليس له وجود إلا في العقول المدلِّسة) لم يكن سوى كلام شفوي لم يُستخدم فيه قلم ولا ورق، ولم يكن ثَمة وقت للتحبير وإظهار البيان، على عكس ما يكذِب المحقِّق المدلِّس الذي يعرف قبل غيره أن هذه المجادلة لم تقع قط، وأنه لم يكن هناك مِثل ذلك اللقاء المزعوم بين جرجي ومن سماهم بـ: "أئمة المسلمين"، كذلك أين كتبه الأخرى التي تُظهر براعته البيانية ومواهبه العقلية؟ بل أين أخباره وتاريخ حياته عندهم، وهو الرجل الذي انتصر ذلك الانتصار الباهر على المسلمين وفي حضور أمير من كبار أمرائهم كما يزعمون؟ وبالإضافة إلى هذا فإن في الحدوتة أخطاء لُغوية لا تليق إلا بكذاب غبي مثله، إنهم أهل الإعلام الطنَّان من قديم الزمان، وصُنَّاع النجوم الزائفة بالباطل! ثم لو كان هناك لقاء كهذا، فأين خبَره في كتب المسلمين؟ أمن المعقول أن يقع مِثل ذلك اللقاء، وأن يكون وقوعه في معسكر الأمير الأيوبي ابن صلاح الدين، ثم تسكُت عنه كل كتب المسلمين فلا تتعرَّض له ولو بكلمة؟ لقد ذهبتُ ففتَّشتُ بطون كتب تلك الفترة فلم أجد لتلك الحدوتة من أثر، بل لم أجد أي أثر لأي واحد من طرفيها: لا الأنبا جرجي ولا الفقهاء الثلاثة الذين تقول الحدوتة: إنهم جادَلوا هذا الجرجي فجَنْدَلهم، وهم أبو سلامة وأبو ظاهر والرشيد بن الهادي، ثم ما هذه النغمة الغريبة، نغمة انتصار النصارى على المسلمين في الجِدال، والمعروف أن علماء المسلمين لم يدخلوا قط مع رُهبان النصارى ورجال دينهم في جِدال إلا كان الفلج للمسلمين، وكثيرًا ما انتهى الجدال بدخول مُجادليهم في الإسلام، وما خبر المناظرة التي تمت في السودان بين مجموعة الدكتور محمد جميل غازي وجماعة القساوسة السودانيِّين في أواخر القرن الماضي وانتهت بإعلان القساوسة جميعًا اعتناق



الإسلام على بكْرة أبيهم ببعيد! وبإمكان القارئ أن يُطالِع وقائع تلك المناظرة كاملة في كتاب "مناظرة بين الإسلام والنصرانية"، ويقع في طبعته الثانية (الرياض/ 1413هـ - 1992م) في 500 صفحة، وهو مُتاح على المشباك لمن يريد تحميله، وبالمناسبة فقد كان بين أعضاء الوفد المسلم الأستاذ إبراهيم خليل أحمد، وهو قِس مصري سابق، أسلَم وأصبح من أشد المدافعين عن سيد الأنبياء والدين الذي جاء به.

كذلك أين خبر هذا اللقاء في كتب النصارى في ذلك الوقت، بل إلى ما بعد ذلك الوقت بعدد من القرون؟ لقد جرَت المجادلة المزيَّفة عام 1216م تقريبًا، إلا أن أقدم مخطوط لهذه الحدوتة يعود إلى عام 1539م، فأين كانت تلك الحدوتة طَوال تلك القرون الثلاثة والعقدين والنصف؟ يقول المحقِّق الكذاب ككاتبها الكذاب: "لم ننشُرها إلا بعد أن قابلناها على عدة نسخ قديمة وجدناها في مكتبة الأمة في باريس وغيرها من مكاتب الشرق، وهي كثيرة تُعَدُّ بالعشرات، وأقدمها وأصحها كتبت بخط جميل سنة 1539 عن نسخة قديمة لا نعلم تاريخها"، إنني في الواقع لا أطمئنُّ إلى أولئك الناس، فهم متخصِّصون في التزييف والعبث، ومن هنا فليس لكلام ذلك الكذاب عندي وعند كل عاقل من معنى إلا أنها قد وُضعت وضعًا في ذلك التاريخ إنْ صح ما يقول؛ أي إنها قد اخترعت من بنيَّات الخيال والأوهام بعد الوقت الذي قيل إنها وقعت فيه بأكثر من ثلاثة قرون! ترى أين حُمْرة الخجل عند أولئك الكذابين؟ الواقع أنهم لا يخجَلون ولا يَستحون، ومن كان هذا شأنهم فإن الله - سبحانه - لا يكتُب لهم التوفيق أبدًا، بل يفضحهم ويهتِك سترَهم!

ثم من هم أولئك المشايخ الثلاثة النَّكرات الذين لا نعرف عنهم شيئًا البتة، وكأن الحاشية الأيوبية والبيئة الحلبية قد خلتا من مشاهير المشايخ والعلماء والكتاب ممن كانوا يستطيعون أن ينفضوا هذا الراهب في الأرض؟ ودعنا الآن من أن الأمير المشمّر ذاته كان من أهل العلم والحديث وصاحب ثقافة تاريخية واسعة كما سيأتي فيما بعد من هذه الدراسة! أو كأن المسلمين يمكن أن يتجاهَلوا مثل أولئك العلماء فلا يكتبوا عنهم أو يترجموا لهم! عال والله عال، لم يبقَ إلا أبو سلامة وأبو ظاهر والرشيد بن المهدي! أيُعقل أن يكون هؤلاء من كبار أئمة المسلمين على ما يزعُم ملفِّق الحدوتة ولا يرِد لهم ذكْر بين علماء حلب ولا غيرها من تلك البلاد؟ لقد وقَعتُ مثلاً، وأنا بصدد

إعداد هذه الدراسة، على مقال في العدد 1007 من "جريدة الأسبوع الأدبي" (2006/5/20م) بعنوان "لماذا حلب عاصمة للثقافة الإسلامية؟" ذكَر فيه كاتبه د. أحمد فوزي الهيب، ضمِن من ذكَر من علمائها في الميادين المختلفة على مر العصور القديمة، مشاهيرهم في العصر الأيوبي، فكان منهم الأسماء التالية، وليس فيها لا أبو ظاهر ولا أبو باطن ولا "دياولو"؛ ببساطة لأنهم ليس لهم وجود إلا في خيال الراهب المدلِّس، قال المؤلف: "ومن علماء حلب آنذاك في التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية والخط والتاريخ والجغرافية والفلك والرياضيات والطب والفلسفة: القفطي وابن العديم وابن سعيد الأندلسي، وابن شداد وابن العجمي وعالي بن إبراهيم الغزنوي، وابن الصلاح والكاشغري والكاساني وصقر بن يحيى وعبدالله الجماعيلي، والهاشمي عبدالمطلب بن عبدالفضل وابن الخباز وشهدة بنت ابن العديم، وابن يعيش وابن عمرون وابن مالك والواسطي القاسم بن القاسم، والحسين بن هبة الله الموصلي وسعيد بن أبي منصور الحلبي، وحمد بن علي المازندراني وابن خروف النحوي وعبداللطيف البغدادي، وعلي بن أبي الفرج البصري والأسعد بن مماتي وابن المولي ويحيى بن محمد وابن أبي طي وياقوت الحموي، وحمد بن طلحة والهروي علي بن أبي بكر، والسهروردي الفيلسوف المتصوِّف، وأبو الفضل بن يامين الحلبي وأبو الحجاج يوسف الإسرائيلي وغيرهم، ومن أطبائها عبداللطيف البغدادي وعفيف بن سكرة الحلبي وحسون الرهاوي"، وغير هؤلاء كثير.

على أن هناك شيئًا في زاوية السَّرد الخاصة بالحدوتة، ألا وهي أن الراوي، رغم ما قيل من أنه كان أحد أعضاء الوفد الذي ذهب للقاء الملك الأيوبي، وأنه كان حاضرًا المجادَلة المزعومة في حضرة الأمير المشمر كلمة كلمة، لم يروِ الحدوتة بضمير المتكلِّم، شأن من كان في مِثل موقفه من الحضور والمشارَكة، بل حكاها بضمير الغائب، لا على سبيل النحو فقط، بل على سبيل الملاحظة والوِجدان أيضًا؛ إذ لم يحدُث أن فكَّر في التعبير عن مشاعره مرة أو التعليق على ما جرى رغم خطورته البالغة ولو بكلمة واحدة، فيقول مثلاً: كنت واحدًا من وفد الرهبان الذي ذهب للقاء الأمير المشمر في شأن كذا، فقال لنا كذا، وقلنا له كيت، وكنت أشعرُ بالسرور وأنا أرى الأنبا جرجي يُفحِم المشايخ المسلمين ويحظى بتشجيع الأمير... إلخ، بل إنه حين تكلَّم عن الراهب



الذي تولَّى المجادَلة المزعومة لم تبدُر منه لفظة واحدة تُنبئ أنه كان يعرفه أو كانت له به علاقة قط!
وهذه ثغرة خطيرة في الحدوتة تدلُّ على أنها مصنوعة صنعًا، وأن قائلها لا يمكن أن يكون قد حضر شيئًا مما يدَّعي وقوعه بين الأنبا المذكور والمشايخ الثلاثة.

ولكي يعرف القارئ ما أريد أن أقوله ويتمثَّل الأمر التمثُّل الصحيح أسوق له هذه الأسطر من رواية أم سلمة - رضي الله عنها - عما وقع للمسلمين في الحبشة في عهد النبي؛ حيث كانت معهم هناك: "قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سَلَمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاوَرنا بها خير جار النجاشي: أمِنَّا على ديننا، وعبَدنا الله - تعالى - لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلَغ ذلك قريشًا ائتمَروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جَلْدَين، وأن يُهدُوا للنجاشي هدايا مما يُستطرَف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أَهدَوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلِّما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سَلاه أن يُسلمهم إليكما قبل أن يكلِّمهم، قالت: فخرجا حتى قدِما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبقَ من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلِّما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غِلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردَّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يكلِّمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلَم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى النجاشي فقبِلها منهما، ثم كلَّماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارَقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدَعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتَبوهم فيه"، فانظر كيف روت أم سلمة حكايتها بضمير المتكلِّم فقالت: "نزلنا، جاورنا، أمِنَّا،



عبدنا، لا نؤذى، لا نسمع..." رُغم أنها لم تكن من الحاضرين مجلس النجاشي، بل كانت فقط واحدة من جماعة المهاجرين المسلمين هناك، فما بالنا بمن كان حاضرًا، وسمِع ورأى كل شيء كراوي هذه الحدوتة؟

ويقول الراهب جرجي ردًّا على ما نُسب إلى الأمير المشمّر من سؤاله إياه عن الحكمة في تحريهم اللحم والنساء على أنفسهم: "ولا نحن نحرِّم الزيجة ولا أكل اللحم، وإنما نقصِد بذلك العيشة اللطيفة غير الهيولية لنتقرَّب إلى الله الجوهر اللطيف غير الهيولي بتلطيف الجسم"، ووجْه الشاهد هنا هو وصْف الراهب لله - سبحانه - بأنه "جوهر لطيف غير هيولي"، الله أكبر! أليس هذا شيئًا قريبًا مما تعِب المسلمون في قوله للنصارى طوال هاتيك القرون؟ أليس ما يزعمونه من أن الله قد تجسَّد ونزل إلى الأرض وأكل وشرِب وتبول وخرأ وشُتم وأهين وطُعن في جنبه بالحربة ولُعن وصاح واستغاث وما من مُغيث، كل ذلك فساد في فساد؟ ومع ذلك فمن قال: إننا نتقرَّب لله بالتنكُّر لأجسادنا وشهواتها؟ إن هذه الأجساد وتلك الشهوات إنما هي جزء أصيل من كِياننا لا تستقيم الحياة بدونه، فكيف يطلب - عز وجل - منا أن نتنكَّر لها؟ وما العلاقة بين كون الله غير ذي جسد وبين تنكُّر البشر لأجسادهم؟ لو قال الراهب الأبله: إن الاعتدال مطلوب في إشباع شهواتنا لقلنا له: نعم ونعام عين! أما تجاهُل الجسد ومطالبه فإنه ينتهي بكوارث أخلاقية واجتماعية؛ إذ الطبيعة لا ترحَم من يتنكَّر لقوانينها التي فطَرها الله عليها، لا تبديل لخلق الله! وحتى المسيح - عليه السلام - الذي يقول ذلك الراهب ومن على شاكلته: إنه هو الله لم يكن ليستطيع أن يعيش إلا بإشباع فمه وبطنه، ولو استطالت به الحياة فلربَّما اتَّخذ له زوجة! وبالمناسبة فقانون الاعتدال غير خاص بمطالب الجسد، بل يصدُق على مطالب العقل والروح كذلك، فمثلاً لو أنفَق الإنسان عمره أو معظم عمره في العبادة دون التفات لمصالحه الدنيوية أو واجباته الاجتماعية لكانت عقابيل ذلك سيئة أيضًا، وقد تكون كارثية في بعض الأحيان.

ويستمر الراهب في سماديره قائلاً: إن السيد المسيح قال لنا: إنكم ما تقْدِرون أن تنالوا الفرح والسرور في العالم الآتي دون الشقاء والحزن في هذا العالم الفاني"، ونحب أن نعرف أين قال عيسى ابن مريم ذلك، لقد كان المسيح يأكل الطعام الطيب مثلما يحب أن يأكله جميع الناس، وكلنا



يعرف كيف حنق - عليه السلام - على التينة بل لعَنها، لأنها لم يكن فيها تين في غير إبانه حسبما لفَّق مؤلِّفو الأناجيل! ترى لماذا غضِب - عليه السلام - على الشجرة المسكينة حين لم يجد في أغصانها تينًا، رغم أنها لم تكن في موسم الثمر، ورغم أنها لا تعقِل ولا تملِك من أمْر نفسها شيئًا؟ أليس لأنه يحب التين ويريد أن يأكله، وهو طيبة من طيبات الدنيا؟ ألم تطلُب أمه أن يوفِّر الخمرَ لضيوف أحد الأعراس فاستجاب لها، وكانت هذه أول معجزة قام بها في حياته؟ وإن كنا لا نصدِّق أن أمه قد طلبت منه ذلك ولا أنه عصى الله وصنَع هذه المعجزة! ألم يقُم بمعجزة إطعام الآلاف طبقًا لما جاء في الأناجيل؟ أهناك من ينكِر أن الطعام والشراب لذَّتان من لذائذ الحياة؟ ألم يعمل بكل ما وهبه الله من مقدرة على شفاء العُمي والبُرص والبُكم، وقد كان ينبغي، لو كان ما نَسَبه له ذلك الراهب صحيحًا، أن يُبقيهم فيما هم فيه من هم وشقاء ومعاناة حتى يكون حظهم في ملكوت السموات عظيمًا؟ ألا يرى القارئ أن ما قاله الراهب الكذاب مجرَّد كلام في الهواء لا مضمون له ولا مصداقية فيه؟

كذلك يدلُّ على أن راوي الحدوتة كذاب أيضًا فيما قاله عن الجسد وطيِّبات الحياة أنه يركِّز - في مدحه للرهبان - على أشكالهم وملابسهم، ترى لو كان الجسد وما يتعلَّق به مَثَّل سوءًا ونقمة على صاحبه، فلم اهتمَّ ذلك الكذاب بحلاوة منظر الراهب فوصفه بقلمه مرة، وعلى لسان الشيوخ المسلمين مرة، بطريقة من ينظر إليه على أنه امرأة فاتنة تستهوي ألباب الرجال وعيونهم؟ إنه يقدِّمه لنا على النحو التالي: "تزين بشيبة زاهرة وأخلاق عذبة تتوقُ الألحاظ إلى معاينته"، كذلك فأبو ظاهر البغدادي يقول عنه: "كل ما عنده حسن وجميل، ووجهه صبيح ومليح"، أوهذا كلام من يرى مُتع الدنيا مناقِضة للعاقبة الحسنى في دار النعيم؟

وبالمثل لا يمكن أن يصدِّق إنسان أن الراهب يفقِد عقله إلى المدى الذي يقول فيه للشيخ: "إننا عارفون أن الغضب والقتل عندكم سُنَّة لا تُعاب، وعادة بها تفتخِرون، وقد قال بعضهم: دارهم ما دمت في دارهم، وأَرْضِهم ما دمتَ في أَرضِهم، يا أبا سلامة، نحن لا نورِد مكان الصدق كذبًا، وإنما نخشى أن تتصوَّر - لغِلَظ طباعك - الحق كذبًا"، إن هذا لهو الجنون بعينه؛ لأن المسلمين لم يكونوا بالهوان الذي يسوِّل لمثِل هذا الراهب التعيس أن يجبههم في وجههم بتلك الكلمات المهينة،



ثم ما معنى قوله لهم في وجههم: "دارهم ما دمت في دارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم"؟ أليس معناه أنه لا يقدِر على مواجهتهم بما يريد أن يقوله؟ فكيف إذًا يواجِههم، بل يجبههم بذلك الكلام المهين؟ بل كيف يفضَح نفسه، ويكشف عن خطته في مداهنتهم واستغفالهم؟

من البلاهة التي لا يُحسِن المبشرون سواها في الاختراع والتلفيق قول الراوي الأخطل: إن الأمير لما أفحَم الأنبا النصراني الشيح المسلم، قد مَالَ عليه وأسرَّ له في أذنه أن أمه نصرانية، وأنه معه بعواطفه تمامًا، ثم لم يكتفِ بهذا، بل خلَع خاتمه الثمين وألبَسه إياه في إصبعه! يا سلام! ما كل تلك البراعة؟ ترى إذا كان كلام الأمير صحيحًا، أكان رجال الحاشية وغيرهم من الحاضرين يجهلون هذا حتى يُسارَّ الراهب وحدَه به بما يفيد أن أيًّا منهم لم يكن يعلم بهذا الأمر؟ هل كان صلاح الدين مثلاً قد تزوَّج بأم الأمير عرفيًّا وسهَّاها وسرَق منها الورقة حتى لا تستطيع أن تثبِت عليه نفقة أو تحصُل منه على إرث أو تنسب ابنه منه إليه؟ ما رأيكم في هذا أيها القراء؟ بل ما رأيكم فيما فعله الأمير من الميل بجسمه إلى الراهب والإسرار له في أذنه بذلك السر الخطير دون الخَشية من سماع المسلمين الموجودين له، وكأنه طفل من الأطفال قُبض عليه متلبِّسًا بسرقة لعبة زميله، فتراه يُسارِع إلى تخبئة يده خلف ظهره على مرأى من الحاضرين ظنًّا منه أنه بهذا يخفي الشيء المسروق عن العيون؟ أم هل كان المسلمون يغفِرون للأمير ما فعَله من الانتصار لنصراني على مسلم؟ أوكانت تمرُّ مثل هذه الواقعة مرور الكرام، وكأن شيئًا لم يحدُث فلا يهيج بسببها العلماء والجمهور، ولا يكتب فيها الكاتبون فيُبدئون ويُعيدون؟ ومع ذلك كله فهؤلاء المغفَّلون يظنون أن بمقدورهم إقناعنا بهذا الهُراء!

ولو سلمنا بما قيل عن تعاطُف الأمير مع النصارى بسبب نصرانية أمه المزعومة التي تخلو كتب التاريخ من أي كلام عنها، بل هي من بنيَّات أوهام الكاتب المفضوح، فهل كانت أم أخيه الظاهر ملك البلاد نصرانية أيضًا؟ ولنلاحظ أنهما لم يكونا شقيقين كما وضحنا في موضع سابق من هذه الدراسة، فكيف سكت ذلك الملك عن العكِّ الذي فعَله أخوه الأمير، والذي كان لا بدَّ أن تكون له عواقب وخيمة على المملكة؟ وذلك بغض النظر عن قوة تشدُّده في أمور الدين وعدم تَساهُله بوجه من الوجوه في مِثل هذه القضية، يقول ابن خلكان في كتابه: "وفيات الأعيان": "كان ملكًا



مهيبًا حازمًا متيقِّظًا كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك، عالي الهمة، حَسَن التدبير والسياسة، باسط العدل، محبًّا للعلماء، مُجيزًا للشعراء"، وقال ابن العديم في "زبدة الحلب" عما وقع في مملكة صلاح الدين بعد وفاته: "واستقرَّ ملك ابنه السلطان الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب لحلب، والبيرة، وكفر طاب، وعزاز، وحارم، وشيزر، وبارين، وتل باشر، واستقل بمُلْك حلب، وأنعم على رعيته، واستمال قلوبهم بالإحسان، وعمِل بوصية أبيه في الأفعال الحِسان، وشارَك أهل حلب في سرورهم والحزن، وقلَّد أعناقهم أطواق الأنعام والمنن، وجالَس الكبير منهم والصغير، واستمال الجليل والحقير، وكان - رحمه الله - مع طلاقه وجهه، من أعظم الملوك هيبة وأشدهم سَطوة وأسداهم رأيًا وأكثرهم عطاءً، وكانت الوفود في كل عام تزدحِم ببابه من الشعراء والقراء والفقراء وغيرهم، وكان يوسِعهم فضلاً وإنعامًا، ويولِيهم مبرَّة وإكرامًا، ولم يجتمِع بباب أحد من الملوك بعد سيف الدولة بن حمدان ما اجتمَع ببابه - رحمه الله - وزاد على سيف الدولة في الحياء والفضل والعطاء"، وذكَر ابن شداد في "النوادر السلطانية" أن جماهير المقاتلة في عكا (على أيام الناصر صلاح الدين: رضوان الله عليه) كانت تعتقِد أن الله قد هيَّأ اندحار العدو ببركة قدوم الملك غازي، كما استبشَر والده صلاح الدين به، وعلِم أن ذلك بصلاح سريرته؛ إذ وجد النصر مقرونًا بقدومه مرة بعد أخرى، وثانية بعد أولى، ومن المعروف أنه قد حضَر مع أبيه معظم وقائعه مع الصليبيين الخنازير، وفي "ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب" يورِد المرتضى الزبيدي ما أثنى به ابن عربي عليه من أنه لم ترفَع إليه حاجة من حوائج الناس إلا سارَع في قضائها من فوره من غير توقُّف، كانت ما كانت، وكان الملك مريدًا لذلك الشيخ، وحصل منه على إجازة في العلم توجد مخطوطتها في مكتبة الأسد الوطنية (مخطوط رقم 6284) حسبما كتب أسعد الخطيب في مقاله: "الإطار الدفاعي عند الصوفية" بموقع "التصوف الإسلامي"، فمِثل هذا الملِك لم يكن ليَسكت على كُفْر أخيه المزعوم لو كان ما قالته الحدوتة صحيحًا، وهو ما لا يمكن أن يكون قد حدث قط!

ولو افترضنا أن تلك المجادلة وذلك الكتاب الذي ضمَّها صحيحان، فكيف نفسِّر سكوت علماء المسلمين عن كتابة ردٍّ على تلك الشبهات التي أوردها الراهب المسكين؟ لقد كتب مثلاً ابن كمونة



اليهودي بعد ذلك التاريخ ببضعة عقود قليلة كتابه: "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث" الذي تعرَّض فيه لليهودية والنصرانية والإسلام، وأورد بعض الاعتراضات على دين محمد - عليه السلام - وعلى نبوته، فهبَّ على الفور خواجة نصير الدين الطوسي، وكتب تفنيدًا لها بعنوان: "الرد على شبهات ابن كمونة"، رغم أن ابن كمونة إنما عبَّر عن رأيه كتابة ولم يقله في مناظرة عامة انتهت بهزيمة مدوِّية ومُخزية للجانب المسلم كما يزعم كاتب المجادلة، فضلاً عن أن اعتراضاته على الإسلام كانت أهدأ جدًّا جدًّا مما قاله الأنبا جرجي في مجادلته حسبما كتب مدوِّنها الموهوم، فإذا أضفْنا أن ابن كمونة كان يعيش في بغداد حيث كانت الخلافة العباسية ضعيفة، وحيث كان المسلمون بعيدين عما يجعل وقْع كلام ابن كمونة على نفوسهم عنيفًا كما هو الحال في دولة بني أيوب قائدة الصراع الدامي مع الصليبيين، وأن المسلمين هاجوا وماجوا يريدون البطش باليهودي مما استدعى تدخُّل كِبار رجال الدولة وكبار علمائها بغية محاصرة المسألة التي لم تنتهِ مع ذلك إلا بتهريب ابن كمونة في صندوق مجلَّد إلى الحِلة، التي مات فيها بعد ذلك بأيام طبقًا لما كتَبه ابن الفوطي في كتابه: "الحوادث الجامعة والتجارِب النافعة في المائة السابعة" في حوادث سنة 683 للهجرة، إذا فعلنا ذلك تبيَّن لنا أن سكوت المسلمين وعلمائهم على هذه المهزلة غير مستطاع التصديق؛ لأنه مما يخالِف طبائع الأمور، ودعنا من الكذبة البلقاء التي كذَبها الكاتب المدلس حين ادَّعى أن ابن صلاح الدين مالأ النصارى في تلك الواقعة ضد المسلمين!

ولم يكن الرد على كتاب ابن كمونة شيئًا استثنائيًّا في تاريخ الثقافة الإسلامية، بل هو القاعدة، وأستطيع أن أذكُر من محفوظي الآن "الرد على النصارى" للجاحظ (الذي أعدتُ كتابته من جديد كما لو كان الجاحظ يعيش في عصرنا الآن، بعنوان "مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى")، و "الرد على ابن النغريلة اليهودي" لابن حزم، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي على رسالة راهب فرنسا التي دعا فيها حاكم سرقسطة المسلم إلى النصرانية، وكتاب أبي عبيدة الخزرجي في الرد على قسيس قُوطِي كان يحاول تشكيك المسلمين في عقيدتهم، فألَّف رسالة بهذا المعنى، أعطوها لأبي عبيدة، فكتب يفنِّدها تفنيدًا صاعقًا، ويتهكَّم بصاحبها ودينه تهكُّمًا ماحقًا، ويفضح ألاعيب رهبان النصارى ومخاريقهم التي يموِّهون بها على عامتهم بسبب افتقار عقيدتهم إلى أساس



عقلي يُسنِده، و"إظهار الحق" لرحمة الله الهندي، ورد قاسم أمين على دوق داركور، ورد محمد عبده على هانوتو، وكذلك رده أيضًا على فرح أنطون، و"ما يقال عن الإسلام" للعقاد، وما كتبه العبد الضعيف في "المستشرقون والقرآن" و"دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية - أضاليل وأباطيل"، و"عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين" وغيرها.. إلخ، فكيف بعد ذلك كله يريدنا ذلك الراهب البائس لنصدِّق أن المسلمين يمكن أن يسكُتوا على هذا التجاوز الذي فاق كل تصوُّر من بعض نصارى الدولة الأيوبية، وفي حضرة واحد من أكبر أمرائها؟

وإلى نقطة أخرى في هذه الحدوتة المصنوعة التافهة ننتقل لنقرأ الحوار التالي: "قال الراهب: قل يا أبا سلامة: ألا تقِرُّ أن الله خلَق الخلائق كلها؟

قال المسلم: نعم، ما في السموات والأرض خلَقه اللهُ - تعالى - بأمره وكلمته.

قال الراهب: فهل يوجد عالَم خلَقه الله، وعالَم خلقه إله آخر؟

قال المسلم: لا، ولكن العالم كلَّه خلَقه إله واحد، وهو الله الذي نعبُده، ولا إله سواه.

قال الراهب: فهل ترى أن الله يَشاء خلاص العالم كلَّه أم يؤثِر خلاص أمة واحدة من خلْقه وهلاك سواها؟ أو لا تُقِرُّ أنه غني كريم جواد؟ فإن قلت: إنه - تعالى - لا يؤثِر خلاص العالم كله فقد نسبَت الباري تعالى - عز وجلَّ - إلى الفقر أو البخل كإنسان أعدَّ طعامًا لمائة رجل، فلما حضره مائة غيرها قال للمائة الأخيرة: انصرِفوا عني، فما يوجد عندي لكم طعام، فيدل هذا على فقر ذلك الإنسان أو بخله.

قال المسلم: إن الله يتعالى عما وصفت، وإني أُقِرُّ وأعترِف أنه غني كريم جَوَاد خالق الخلائق بأسرها ومؤثِر خلاصها.

قال الراهب: فإذا كان الله يَشاء خلاص العالم كلَّه فيجب أن يكون رسوله إلى العالم كلَّه لا إلى أمَّة واحدة".

حلوٌ جدًّا! لقد وقعتم ولم يُسَمِّ أحد عليكم أيها الكذابون: لا باسم الله الرحمن الرحيم ولا باسم الآب والابن والروح القدس، ومن فمكم وكتابكم لا من فمنا ولا من كتابنا نُدينكم ونُري الناس جميعًا أنكم أغبياء لا تفقهون، ولا عقل لديكم به تفكِّرون، ترى أي الرسولين الكريمين هو الذي



قال: إنه إنما بُعِث لأمته فقط، وأيهما هو الذي قال: إنه بُعِث للناس كافة؟ الإجابة التي لا يمكن أن يجادِل فيها إنسان تتلخَّص في أن الأول هو عيسى ابن مريم، والآخر هو محمد بن عبدالله - عليهما جميعًا الصلاة والسلام - وهذه هي الشواهد لمن يريد من الحمقى رغم ذلك أن يجادِل: فعلى حين نسمع المسيح يقول بصيغة الحصر والقصر: إنه لم يُرْسَل إلا لخِراف بني إسرائيل الضالة، نجد القرآن المجيد منذ العصر المكي يقول عن سيد الأنبياء والمرسلين: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: 28]... إلخ، كما أشار - صلى الله عليه وسلم - مرارًا إلى طبيعة مهمته وأنها مهمَّة عالمية وليست خاصة بالعرب وحدهم، وأن هذا مما تتميَّز به رسالته على رسالات الرسل السابقين، على عكس السيد المسيح الذي تحكي لنا الأناجيل نفْسها أنه لما طلَبت منه المرأة الكنعانية أن يساعِدها رفَض، وأسمعها تلك الكلمة القاسية الفظَّة المفعَمة بالاحتقار والتكبُّر والتجبر، وهي أن خبز البنين لا يؤخذ فيُطْرَح للكلاب، والبنون هنا هم بنو إسرائيل، أما الكلاب فهم الأمم الأخرى، ومنها تلك المسكينة التي لم تجد بدًّا من إظهار استعدادها لتجرُّع كؤوس المهانة والتحقير حتى آخر قطرة، فقالت له: إن الكلاب تصيب أيضًا من فُتات الطعام المتساقِط من المائدة على الأرض، فعند ذلك رضي المسيح بعد أن أَعجبه كلامها الذليل، وقبِلها على سبيل الاستثناء ليس إلا، وقد أكَّد كلامه مرة أخرى تأكيدًا صريحًا على سبيل المخالَفة: "[5]هؤلاء الاثنا عشر أرسَلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: "إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، [6]بل اذهبوا بالحَرِيِّ إلى خِراف بيت إسرائيل الضالَّة"؛ (متى/ 10)، ولا يقولن قائل: إنه قد غيَّر كلامه في آخر حياته حين طلَب من تلاميذه أن ينطلِقوا ليبشِّروا بالإنجيل بين الأمم؛ إذ إن هذا لو صدَّقنا حدوته لم يكن إلا بعد أن يَئِس - عليه السلام - من "البنين" فاضطرَّ إلى اللجوء لـ: "الكلاب" على مضضٍ وكراهية وقنوط، بخلاف محمد - عليه السلام - الذي كان يجمع حوله من البداية الرجال والنساء من غير العرب كما هو معروف، مفسِحًا لهم في صدره وقلبه وعطْفه وكرمه وحنانه ومبادئه دون منٍّ عليهم ولا أذى ولا نبزٍ لهم بالكلاب أو الخنازير، وكان منهم الحبشي، والرومي، والفارسي: محمد الذي قال: إنه ((لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح))، فلا بنين عنده ولا كلاب،



بل الكل عباد الله الرحيم الكريم! محمد الذي جعل من سلمان الفارسي واحدًا من أهله: ((سلمان منا أهل البيت))! محمد الذي قام عند مرور جِنازة يهودي بمجلسه قائلاً لمن استغرَب ذلك من أصحابه: ((أليست نفسًا؟)) ولم يقل: دعوكم منه، فإنه كلب ابن كلب!.. إلخ.

ثم إنه - صلى الله عليه وسلم - قد أتبَع القول بالعمل فبعَث برسائل إلى ملوك الأرض من حوله يدعوهم فيها إلى الإسلام، أما عيسى فلم يخرج عن دائرة بعض المدن الفلسطينية التي كان يتحرك فيما بينها على الأقدام، ولم يحدُث قط أن دعا أحدًا من غير بني إسرائيل إلى آخر لحظة في حياته على الأرض، وهذا إن قبلنا رواية الأناجيل عن تغيُّر اتجاه الريح في دعوته - عليه السلام - وإلا فلنلاحظ أنه، حين نصَّ على أن رسالته مقصورة على البنين ولا نصيب فيها للكلاب، قد قال: لم أُرسِل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، فهو هنا ينصُّ نصًّا على أن هذه طبيعة مهمته، وأن هذا هو نِطاقها لا يمكنها أن تتعدَّاه؛ لأن ذلك هو ما أرسَله الله من أجله، فالقرار إذًا هو قرار الله، بخلاف أمره هو لتلامذته بالانطلاق إلى الأمم لتبشيرهم بالدعوة الجديدة، الذي لا يعكس إلا قراره هو، وإلا لقال: إن الله - سبحانه - قد غيَّر الأوضاع وأمرَكم بالخروج من نطاق المحلية إلى نطاق البشرية كلها، ولا أحب أن أتوقَّف كثيرًا عند قوله: إنه لم "يرسَل" إلا إلى خِراف بني إسرائيل، بما يعني أن هناك من أرسَله، وهو الله، أي إنه ليس أكثر من عبد لله ورسول كريم من رُسله لا أنه هو الله نفسه، تعالى الله عن ذلك، وإلا فكيف يرسِل نفسه بنفسه؟ ولا أزيد عن هذا هنا لأن السياق ليس سياق المناقشة لألوهيته المدَّعاة - عليه الصلاة والسلام.

ويستمر الأنبا المزعوم في الكلام قائلاً: "وكذلك يجب على كل من نادى على نفسه، وقال إنه رسول من الله أن يكون معه قوَّة مرسِلِه ودليل يشهَد له أنه رسول من الله.

قال المسلم: وما القوَّة والدليل؟

قال الراهب: التي كانت في رُسُل المسيح.

قال المسلم: وما هي؟

قال الراهب: هي ثلاثة خِصال: اجتراح المعجزات، والتكلُّم بسائر اللغات، والمناداة في الدنيا كلها، وأنتم لكم ثلاثة خصال تُضادُّ هذه.



قال المسلم: وما هي؟

قال الراهب: التهديد بالسيف، والترخيص، والإقناع السفسطي أو الخيالي، وهذه ثلاثة الخصال وُجِدَت في محمد.

والتفت الراهب إلى الأمير وقال له: أعزَّك الله أيها الأمير، إن حضَر لديك في وقتنا هذا إنسان يقول عن نفسه: إنه رسول من الخليفة أرسَله إليك في أمر من الأمور ولم يوجد معه كتاب من الخليفة ولا خاتمه ولا علامته ولا ما يدلُّ عليه، فهل كنت تصدِّقه إنه رسول من الخليفة؟

قال الأمير: لا، ويؤخذ عندي والله تحت الذنب والعقوبة.

قال المسلم: وما هو الدليل والبرهان على أن رُسل المسيح كان فيهم هذه القوات والخصال من افتعال المعجزات والتكلم بسائر اللغات والمناداة في الدنيا كلها؟

قال الراهب: الدليل حاضر بين يديك، والبرهان واضح أمام عينَيك؛ لأنك إن مضيت إلى الشرق، وإن ذهبت إلى أقاصي الغرب، وإلى آخر الجنوب والشمال، فإنك تجد عبادة المسيح في أقاصي الأرض، ولا يوجد إقليم من أقاليم الأرض يخلو من عبَّاد المسيح، وهذا الدليل الواضح على أن رسل المسيح طافوا الأرض جميعها من أقصى الأقطار إلى أقصاها، والدليل على أنهم تكلَّموا بسائر اللغات أنك لا تجد أمة ولا لغة ولا لسانًا إلا وقد نودي فيها باسم المسيح وعبدوا فيه المسيح، وداود النبي قد تنبَّأ قبل رُسل المسيح بأجيال كثيرة على تكلم الرسل بسائر اللغات، وقال (مز 18، 5): "في كل الأرض خرج نطقهم، وفي جميع المسكونة انبثَّ كلامهم"، وهذا دليل واضح على أن الحواريين تكلَّموا بسائر اللغات، فهل عندك يا أبا سلامة في هذا شكٌّ؟

قال المسلم: هذا أمْر ظاهر لا شك فيه".

وهذا الرد المنسوب للشيخ المسلم هو كذبٌ في كذب، كذبٌ بالثُّلث؛ إذ لا يمكن أن يقول ذلك مسلم أبدًا، وإلا فأين الدليل الذي يُقيم عليه تصديقه وتسليمه بمِثل هذه الدعوى التي لم يتحدَّث أحد على ظهر الأرض عنها غير أصحابها، فهم إنما يغنُّون ويردون على أنفسهم: ترى كيف يمكن أن يُجيب المسلم على هذه الدعوى العريضة المستحيلة بأن "هذا أمْر ظاهر لا شك فيه"؟ كيف بالله يكون ذلك أمرًا ظاهرًا لا شك فيه؟ أين الدليل؟ لقد مات الرسل المذكورون



وشبِعوا موتًا، ولم يرَهُم الشيخ المسلم وهم يجترِحون المعجزات، ويتكلَّمون باللغات المختلفة، فكيف يشهَد لهم بذلك ويؤكده، وينفي عنه الشك نفيًا مُطلقًا كما في الكلام المزوَّر على لسانه؟ ثم متى كان المسلمون يستخدمون لفظ "قوات" بمعنى "معجِزات" كما ورد على لسان الشيخ هنا؟ إنه مصطلح نصراني لا يعرفه الإسلام، وهذه شواهده من العهد الجديد: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس باسمك تنبَّأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة"؛ (متى/ 7/ 22)، "حينئذ ابتدأ يوبِّخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تَتُب"؛ (متى/20/11)، "فسمع هيرودس الملك، لأن اسمه صار مشهورًا، وقال: إن يوحنا المعمدان قام من الأموات، ولذلك تعمل به القوات"؛ (مرقس/14/6)، "ويل لك يا كورزين، ويل لك يا بيت صيدا؛ لأنه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديمًا جالستين في المسوح والرماد"؛ (لوقا/ 27/19)، "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهَن لكم من قِبل الله بقوَّات وعجائب وآيات صنَعها الله بيده في وسَطكم كما أنتم أيضًا تعلمون"؛ (أعمال الرسل/ 22/2)، "ولآخر عمل قوَّات، ولآخر نبوَّة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة"؛ (كورنثوس/10/12)، "شاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوَّات متنوِّعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته"؛ (عبرانيين/4/2)، أما بالنسبة للتراث الإسلامي فقد بحثتُ عن هذه الكلمة في مئات الكتب الموجودة في مكتبة قرص "الموسوعة الشعرية" فلم أجدها إلا مرة واحدة في كتاب يرجِع إلى القرن الخامس عشر، أو أواخر الرابع عشر على أبعد تقدير، وهو كتاب "العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية" لعلي بن الحسن الخزرجي اليمني، وفي معنى لا علاقة بـ: "المعجزات" على الإطلاق، وهو "الجنود"، ومعروف أنها لم تأتِ في القرآن ولا في أحاديث الرسول - عليه السلام - بأي معنًى من المعاني، وعلى هذا فالكلام المنسوب إلى الشيخ ليس له بكل يقين، بل هو كلام مزيَّف كسائر الحدوتة! أما أن النصرانية قد انتشَرت في البلاد المختلفة فهذا يصدُق على الإسلام أيضًا، وعلى كثير من الديانات الأخرى كذلك، وإن لم يكن انتشارها بهذه السعة التي نلاحظها في الإسلام، ولا ننسى أن انتشار النصرانية في ثلاث قارات من قارات العالم إنما تمَّ بالمحق والمحو والاستئصال، وبمساعدة ومبارَكة



القساوسة والأساقفة الذين كانوا يصاحِبون القادة الأوروبيين في اجتياحهم المدمِّر للأمريكتين وأستراليا رافعين الصليب بيد، وممسكين الأناجيل باليد الأخرى، وكل ذلك باسم السيد المسيح! وبالمناسبة فلدينا أكداس وأكداس من روايات المعجزات والكرامات منسوبة إلى الصحابة والتابعين والمتصوِّفة والزاهدين، ونحن على استعداد أن نُعطيك منها بالقُفَّة إذا أردت، لكننا نغضي عن هذا كله أن كل ذلك قد ذهب مع التاريخ، ولم يبقَ إلا ما يخاطِب العقل المجرد والقِيَم التي دعا إليها كل من محمد وعيسى - عليهما السلام - حسبما وردتْنا في كتاب كل من الديانتين مما يمكن أن نتخِذه فيصلاً للمفاضلة بينهما.

بقيَ أمر في هذه النقطة، ألا وهو قول الملفِّق عن الحواريين: إن داود قد تنبَّأ بأنهم سوف يَنطِقون بكل الألسنة، وهذا نص ما قاله الأنبا المسكين: "وداود النبي قد تنبَّأ قبل رسل المسيح بأجيال كثيرة على تكلم الرسل بسائر اللغات"، وقال (مز 18، 5): "في كل الأرض خرج نُطقُهم، وفي جميع المسكونة انبثَّ كلامهم".

وتعليقي على ذلك:

أولاً: إن الإحالة في كلام الراهب المزيَّف إلى كتابه المقدس خاطئة، فالنص ليس موجودًا في المزمور الثامن عشر، بل في التاسع عشر، كما أن الفقرة المعنيَّة ليست هي الخامسة بل الرابعة، وهذه نقطة نظام أحببتُ أن أُشير إليها في بداية التعليق كي يفهَم القاصي والداني أن ما قاله مؤلِّف الحدوتة الساذَجة عن عِلم الأنبا جرجي بالقرآن والإسلام هو "أي كلام، يا عبدالسلام"؛ إذ ها هما ذات الاثنان لا يعرفان حتى مواضع النصوص التي يستشهِدان بها من كتابهما المقدس، فكيف بحال الراهب مع كتابنا نحن، وهو غير مقدَّس عنده بحال؟

ثانيًا: هذا الكلام (إن صدَّقنا بما يقوله المؤلِّف الأبله عن النبوءة) لا يعني أبدًا أن الرُّسل المذكورين كانوا يتكلَّمون باللغات المختلفة، بل كل ما هنالك أن كلامهم قد انتشَر في كل الأرض، أما بـ: "كم لغة" فلا ذكْر لشيء من هذا على الإطلاق، والذي يتبادر إلى الذهن هنا وفي كل النصوص المشابهة هو أن كلامهم قد تُرجم لمن لا يعرفه.

ثالثًا: وهي القاصمة: أن كلام داود لا صِلة له بتاتًا برسل المسيح ولا بأي رسل من أية ملة أو



دين، بل هو كلام عن السموات والأفلاك التي تتحدَّث دون كلام عن صانعها – سبحانه وتعالى – وعظمته، فهي تتكلَّم ولا تتكلم، تتكلم بلسان الحال، وإن لم تتكلم بلسان المقال، وهو ما يشبِه قوله – تعالى – في الآية الرابعة والأربعين من سورة "الإسراء": {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء: 44]، وهذا هو النص في سياقه كيلا يفتح فمَه أحدٌ بعد ذلك: "[1]السموات تحدِّث بمجد الله، والفلك يخبِر بعمل يديه، [2]يوم إلى يوم يُذيع كلامًا، وليل إلى ليل يُبدي عِلمًا، [3]لا قول ولا كلام، لا يسمع صوتهم، [4]في كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم، جعل للشمس مسكنًا فيها، [5]وهي مِثل العروس الخارج من حجْلته، يبتهج مثل الجبار للسباق في الطريق، [6]من أقصى السموات خروجها، ومدارها إلى أقاصيها، ولا شيء يختفي من حرِّها"، وهذه هي طريقة القوم في المجادلة عن دينهم: سذاجة ما بعدها سذاجة، ثم يريدون من الآخرين أن يخرُّوا على ما يقولونه لهم عميًا وبُكمًا وصمًّا، فلا تفكير ولا استعمال للعقل، بل إيمان أعمى متعصِّب يقوم على ترديد المحفوظات والعبارات الإنشائية التي لا معنى لها، وقد كتبتُ ما كتبتُ بِناء على قراءتي الهادئة الواعية للنص الكتابي، ثم لم أكتفِ بهذا بل رجعت إلى بعض التفاسير المشهورة للكتاب المقدس، فكانت هذه النقول التالية التي تُبيِّن بأجلى بيان أن ذلك هو المعنى المنطقي للكلام المنسوب لداود – عليه السلام –:

Commentary Critical and Explanatory of the whole Bible: Pasims 19: 1 - 14. After exhibiting the harmonious revelation of God,s perfections made by His works and His word, the Psalmist prays for conformity to "the glory of god".

- The glory of God -- is the sum of His perfections (psalms 24: 7 - 10, Romans 1: 20).
- Firmament -- another word for "heavens" (Genesis 1:8).
- Handywork -- old English for "work of His hands".
- Uttereth -- pours forth as a stream, a perpetual testimony.



- Though there is no articulate speech or words, yet without these their voice is heard.
- Their line--or, "instruction" -- the influence exerted by their tacit display of God,s perfections.
- The 1599 Geneva Study Bible:
- 19: 4 Their d line is gone out through all the earth, and their words to the end of the world, In them hath he set a tabernacle for the sun,
- (d) The heavens are as line of great capital letters to show God,s glory to us.
- Matthew Henry Concise Commentary on the whole Bible:
- Verses 1 - 6 The heavens so declare the glory of God, and proclaim his wisdom, power, and goodness, that all ungodly men are left without excuse, They speak themselves to be works of God,s hands, for they must have a Creator who is etemal, infinitely wise, powerful, and good. The counter - changing of day and night is a great proof of the power of God. And calls us to observe. That, as in the kingdom of nature, so in that of providence, he forms the light, and creates the darkness, (Isaiah 45: 7), and sets the one against the other. The sun in the firmament is an emblem of the sun of righteousness, the Bridegroom of the church, and the Light of the world, diffusing Divine light and salvation by his gospel to the nations of the earth. He delights to bless his church, which he has espoused to himself: and his course will be unwearied as that of the sun, till the whole earth is filled with his light and salvation. Let us pray for the time when he shall enlighten, cheer, and make fruitful every nation on earth. With the blessed salvation. They have no speech or language, so some read it,



and yet their voices is heard. All people may hear these preachers speak in their own tongue the wonderful works of God. Let us give god the glory of all the comfort and benefit we have by the lights of heaven. Still looking above and beyond them to the sun of righteousness.

وعجيب، بعد ذلك كله، أن يستشهِد الأنبا المزعوم هنا بداود، وداود الذي يصوِّره العهد القديم (أستغفِر الله) بصورة المجرِم القراري الزاني الفاجر قتَّال القتلة، أفلم يجد إلا هذا كي يستعين به في التدليل على أن ما يقوله هو عن رُسلهم صحيح؟ المتعارَف عليه أن الإنسان، إذا ما كان عليه أن يُحضِر شهودًا لنصرة قضية له، فلا بد أن يختارهم ممن يوثَق بكلامهم لما اشتهروا به من صدْق واستقامة وعفَّة ونزاهة وخُلُق طيب كريم لا ترتقي إليه الشبهات، وأين داود من هذا؟ داود الذي ورد ذكره في العهد القديم لا داود الذي يُثني عليه القرآن المجيد ويُبرِّئه من أي دنس أو إجرام!
وعجيب أيضًا أن يرسُم ملفِّق الحدوتة للمشايخ الثلاثة صورة مضحِكة تدلُّ على جهلهم وسذاجتهم، منتهزًا فرصة أنهم نكِرات لم يسمع بهم أحد، إذ لا وجود لهم في كتب التاريخ والتراجم، بيد أن هذه الصورة التي رسَمها لهم تتناقَض، رُغم ذلك، مع ما ترَكه المفكِّرون المسلمون السابقون على العصر الأيوبي من مؤلَّفات غزيرة وعظيمة في مقارنة الأديان والرد على النصارى لم تغادِر شاردة ولا واردة مما عند القوم إلا وبيَّنت عُوَارها وتهافتها وساقت الحجج المفحمة التي تكسحها كسحًا، إن لدينا - والحمد لله - قائمة طويلة من المؤلَّفات في هذا الميدان ثرية غاية الثراء ترَكها علماؤنا العباقرة الأفاضل، فكيف يتصوَّر مؤلفُ تلك الحكاية الساذَجة أن بمُستطاعه إيهامنا بجهْل أولئك المشايخ (الذين يسمِّيهم: أئمة المسلمين) بذلك التراث الجِدالي العظيم، وسطحية تفكيرهم إلى هذا الحد الهزلي؟ وهذه قائمة بأهم الكتب السابقة على تاريخ المجادَلة المزعومة، ولا أقول شيئًا عما ألِّف بعدها من كتب في ذات الموضوع، وهي منقولة عن موقع "مُلتقى أهل التفسير":

- كتاب علي عمار البصري النصراني لأبي الهذيل العلاف المعتزلي مفقود.
- كتاب جواب قسطنطين عن الرشيد، لمحمد بن الليث الخطيب - منشور.
- رد على النصارى لضِرار بن عمرو المعتزلي، مفقود.

- رد على النصارى لعيسى بن صبيح المردار، مفقود.

- كتاب علي أبي قرة النصراني لعيسى بن صبيح المردار.

- رد على النصارى لحفص الفرد، مفقود.

- رد على النصارى لأبي عيسى محمد بن هارون بن محمد الوراق: أكبر وأوسط وأصغر، نُشر منه جزآن في بريطانيا بجامعة برمينجهام على يد دافيد توماس.

- كتاب على النصارى لأبي جعفر الإسكافي، مفقود.

- كلام على النصارى للنظام المعتزلي، مفقود.

- كلام على النصارى في كتاب المعونة؛ لأبي بكر أحمد بن علي بن الأخشاد المعتزلي، مفقود.

- الرد على النصارى؛ ليعقوب بن إسحاق الكندي، محفوظ في رد يحي بن عدي النصراني عليه.

- رد على النصارى لعمرو بن بحر الجاحظ، حُفِظ مختار منه وطُبع ثلاث مرات.

- الرسالة العسلية في الردِّ على النصارى للجاحظ، مفقودة.

- رد على النصارى لأبي القاسم ترجمان الدين الحسني الشيعي (ت 246هـ)، منشور مرتين.

- الحُجَّة على النصارى لمحمد بن سحنون المالكي (ت 256هـ)، مفقود.

- رد على أصناف النصارى لعلي بن ربن الطبري، قطعة وحيدة منه منشورة في بيروت سنة 1959م بجامعة القديس يوسف، وحفِظت نصوص منه في رد ابن العسال النصراني، وترجمه كوديل إلى الفرنسية عام 1996م.

- الدين والدولة لعلي بن ربَّن الطبري، مطبوع بتحقيق منيانا، وأعاد نشره عادل نويهض.

- رد حميد بن سعيد بن بختيار المتكلم على مطران فارس المسمى يوشع بخت، مفقود.

- كتاب لحميد بن سعيد بن بختيار المتكلم، رد فيه على النصارى في مسألة النعيم والأكل والشرب في الآخرة وعلى جميع من قال بضد ذلك، مفقود.

- رد على النصارى؛ للقحطبي، مفقود.

- رد على النصارى؛ للحسن بن أيوب، وهو كتاب إلى أخيه علي بن أيوب، يبيِّن فيه فساد مقالات النصارى وتثبيت النبوة، محفوظ جلُّه في الجواب الصحيح لابن تيمية، وقد حقِّق مستقلاً



في هولندا كرسالة دكتوراه.

- الكلام على النصارى مما يحتجُّ به عليهم من سائر الكتب التي يعترفون بها؛ لأبي الحسن الأشعري.

- رد على النصارى (ناقص) لمؤلِّف مشرقي في القرن الرابع، نُشِر مع دراسة عنه بالفرنسية بمجلة دراسات إسلامية.

- الإعلام بمناقب الإسلام؛ لأبي الحسن العامري، (ت 381هـ)، مطبوع.

- كلام على النصارى للقاضي أبي بكر الباقِلاني (ت 403هـ) في كتاب التمهيد له، مطبوع.

- رد على النصارى؛ للقاضي عبدالجبار المعتزلي ضمن كتابه: تثبيت دلائل النبوة، مطبوع.

- كلام على النصارى في كتاب المغني ج (5)؛ للقاضي عبدالجبار المعتزلي.

- الرد على أناجيل النصارى؛ لابن حزم، مذكور في سير أعلام النبلاء للذهبي.

- إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقُض ما بين أيديهم من ذلك مما لا يحتمِل التأويل؛ لابن حزم، (جذوة المقتبِس للحميدي).

- مناظرة الحسن بن بقي المالقي صديق ابن حزم لنصراني، موجودة.

- مناظرة لابن حزم مع قاضي نصارى قرطبة حول الأكل والشرب في الجنة، نشرتُها على الملتقى المفتوح.

- مناظرة ابن الطلاع القرطبي لنصراني من طُليطلة، مفقودة.

- قصيدة في الرد على نقفور فوقاس؛ لابن حزم، ورَد نصُّها في فهرسة ابن خير، والبداية والنهاية لابن كثير، وطبقات الشافعية الكبرى.

- جواب أبي الوليد الباجي، (ت 474هـ) على رسالة راهب إفرنسة، نشِرت أربع مرات اعتمادًا على مخطوطة وحيدة في الأسكوريال رقم (538).

- شفاء الغليل في بيان ما وقَع في التوراة والإنجيل من التبديل؛ لأبي المعالي الجويني، (ت 478هـ)، منشور مرتين.

- إفحام النصارى لابن جزلة المتطبِّب (ت 493هـ)، مفقود.



- رسالة ابن جزلة (أبو علي يحيى بن عيسى) كتَبها إلى إليا القس، مفقودة.

- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل؛ لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ)، نُشِر ثلاث نشرات مختلفة.

- رسالة ميزان الصدق المفرِّق بين أهل الباطل وأهل الحق، إملاء أبي مروان عبدالملك بن مسرة بن عزيز اليحصبي قاضي الجماعة بقرطبة (ت 552هـ) في مجاوبته عن كتاب أساقفة النصارى إليه مع قصيدة له نظَمها في معنى هذه الرسالة (فهرسة ابن خير، ص (373)، مفقود.

- مقامع الصُّلبان؛ لأبي جعفر أحمد بن عبدالصمد الخزرَجي القرطبي (ت 582هـ)، طبع مرتين.

- قصيدة في الرد على نقفور فوقاس عظيم الروم، للفقيه أبي الأصبغ عيسى بن موسى بن عمر بن زروال الشعباني ثم الغرناطي، توفِّي قبل سنة 575هـ (فهرسة ابن خير ص (368)، رقم (1145)، مفقودة.

- كتاب في الرد على النصارى للرهاوي (ذكَره صالح بن الحسين الجعفري صاحب التخجيل لمن حرَّف الإنجيل).

- كتاب في الرد على النصارى؛ لخلف الدمياطي (ذكره الجعفري صاحب التخجيل).

- الرد على المتنصِّر لأبي الطاهر ابن عوف المالكي (ت 581هـ).

- الداعي إلى الإسلام؛ للأنباري (ت 577هـ)، (فيه فصل في الكلام على النصارى)، مطبوع.

- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية؛ لنصر بن يحي بن سعيد المتطبب، مطبوع.

- مناظرة في الرد على النصارى؛ لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ)، مطبوعة.

- ومما جاء على لسان الأنبا جرجي أيضًا في المجادَلة المزيفة المصنوعة قوله: "فقد شهِدت السماء والأرض والملائكة والناس والملوك والعوام والجاهل والعاقل أن الحواريين رسُل الله - تعالى - وأنصار دينه الحق الصادق، ونبيك محمد يشهَد لهم، ويحقِّق قولهم وإنجيلهم بقوله في القرآن: "إنا أنزلنا القرآن مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل"، فإذا كان نبيك وكتابك قد صدَّق الإنجيل، فقد لزِمك أنت أيضًا أن تصدِّقه، وإن كذَّبته فقد كذَّبت نبيَّك وكتابك"، وجوابنا أن هذا كلَّه كلام خِطابي لا بُرهان عليه؛ إذ ليس كل الناس (وخلِّ الملائكة الآن على جنب!) يؤمنون برُسل المسيح،



وهذا لو كان الذي يُنسَب لهم من الكتب هو مما كتَبه فعلاً حواريوه الحقيقيون - رضي الله عنهم - وهو ما نشكُّ فيه شكًّا مُطلقًا؛ لأنَّ الحواريين لا يمكن أن يشركوا بالله عبْدَه عيسى بعد أن صحَّ إيمانهم به على عهده - صلى الله عليه وسلم - بل الذين يؤمنون به على النحو الذي تشرحه كتبُهم هم النصارى المثلِّثون فقط، أما قول الأنبا: إن في القرآن نصًّا يقول: "إننا أنزلنا القرآن مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل" فهو كذِب مبين؛ لأن مثل هذا النص لا وجود له في القرآن، بل الموجود فيه هو قوله - تعالى -: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدَىً لِلْنَّاسِ} [آل عمران: 3 - 4]، {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: 48]، والمهم أن القرآنَ (كما نرى) يعلِن نفسه مهيمنًا على الكتب السابقة؛ أي إن ما يقوله عنها هو الصواب الذي ينبغي اعتماده، ومعنى هذا أن الأنبا، إذا أراد أن يُحاجَّ المسلمين بكتابهم، فعليه أن ينقل كلام كتابهم كما هو، مثلما أفعَل أنا مثلاً حين أجادِل القوم، فأنقل كلامهم بنصِّه، لا أن يؤلِّف كلامًا من عنده ثم يزعُم أن هذا هو كلام القرآن.

- وعلى هذا فلا معنى لقوله: إن القرآن قد شهِد للتوراة والإنجيل، ومن ثَمَّ فعليكم أيها المسلمون أن تصدِّقوا بما في أيدينا؛ ذلك أن التوراة والإنجيل لدينا غير التوراة والإنجيل لديهم، فالتوراة والإنجيل لدينا وحْيان نزلا على موسى وعيسى، أما الذي عندهم فهو العهد القديم والعهد الجديد، وهما مجموعة من الكتب ألَّفها أشخاص مُتعدِّدون بعد موت موسى وانتهاء حياة عيسى على الأرض، وليسا وحيينِ سماويينِ، وإن لم يعنِ هذا بالضرورة أن كل ما فيهما لا يمتُّ إلى الوحي بصلة؛ إذ قد بقيت فيهما أشياءُ وأصداءٌ من وحي السماء مختلطة بما سطَّرته أيدي البشر، ومن هنا فلا بدَّ أن ينزِل الأنبا على حُكم القرآن، إن كان يريد أن يقنِع المسلمين من خلال آيات ذلك القرآن، أما أن يلوي النصوص القرآنية ويُحرِّفها جريًا على ما تعوَّده قومه مع التوراة والإنجيل فليس من العدل ولا من الأمانة ولا من المنهجية في شيء.

- ومن ثم فقول المسلم للأنبا المزعوم: "أنا مصدِّق الإنجيل، ولكنكم حرَّفتموه بعد نبيِّنا (أحسب أن المقصود: "بعد نبيكم") وجعلتموه على غرضكم وهواكم" هو كلام صحيح تمام الصحة، لكن



ماذا قال الراهب؟ وماذا كان ردُّ المسلم عليه؟ وكيف مضتِ المحاورة؟ هذا ما سنقرؤه الآن، "قال الراهب: لا تتحدَّث بهذا ولا تورِد قضية لا يمكنك القيام بتحقيقها، وأخيرًا تخجل بباطلك كمن يروم سَتر الشمس عن الناس بكفِّه، قل لي يا أبا سلامة: كم من السنين مضت من المسيح إلى محمد؟

– قال المسلم: ما أدري.

– قال الراهب: أنا أُقيم لك البيِّنة، إن من المسيح إلى محمد ستمائة سنة ونيِّف!

– قال المسلم: صدقتَ يا راهب، كذلك هو، وكذلك وجدنا في التواريخ!

– قال الراهب: أفما كان النصارى قد وُجِدوا في الدنيا كلها؟

– قال المسلم: نعم.

– قال الراهب: مثلما في وقتنا هذا؟

– قال المسلم: نعم، (وما زاد).

– قال الراهب: فهل يمكنك أن تعدَّ الأناجيل التي كُتِبت في أقطار الأرض وفي سائر اللغات والألسن؟

– قال المسلم: لا أقدِر على ذلك.

– قال الراهب: فاجعل أن طائفة من أهل الغرب حرَّفت أناجيلها، فكيف وصلت هذه الأناجيل إلى الذين هم في أواخر الشرق، ولهم لغة أخرى ولسان آخر؟ وكذلك الذين هم في الجنوب والشمال مع تخالُف لغاتهم وسجاياهم، فكيف يمكن إن كان إنجيل واحد قد تحرَّف كما تقول أمكن أن تحرَّف به أناجيل لا تعدُّ ولا تُحصى في أقطار الأرض كلها عند شعوب مختلفة لغاتها؟ فهذا من الممتنع أن يكون الاتفاق عليه، ولو كان ذلك لوجدت بعضها محرَّفة عند جماعة من النصارى، وبقيت عند غيرهم أناجيل غير محرَّفة، ولكنَّك إن طُفتَ الدنيا كلها: الجنوب والشمال والشرق والغرب تجد الأناجيل في سائر اللغات على المثال الذي سلَّمه إلينا الحواريين رُسل المسيح لا يخالِف الواحد للآخر، وأنا أحضر لك مثال يصدِّق ويحقِّق قولي: إن قدِم أحد الناس وأظهر قرآنًا يخالِف القرآن المعروف الآن عندكم وقال لكم: هذا القرآن المنزَّل على النبي، وليس هو ذاك،



فهل كنتم تقبَلونه؟

- فقال الأمير: لا، وعليَّ ما كنا نقبَله بل نحرِقه ومن أتى به.

- قال الراهب: فإذا كان كتابكم قد كُتِب في لغةٍ واحدة وبشفةٍ واحدة لا يمكن ولا يجوز أن يحرَّف، فكيف يمكن لمن يروم تحريف الأناجيل، وقد وُزِّعت في المسكونة كلها عند شعوب مختلفة لغاتها؟ وقد يوجد عندنا حُجج واضحة وبراهين بيِّنة غير هذه توضِّح صدق ما أوردنا الآن لكم من الكتب العتيقة مما قدمت به الأنبياء من قديم الزمان عن المسيح ورسله، لكن أوجزنا الكلام خِيفة أن يكون عندكم ثِقَل في إطالة الشرح".

- وواضح أولاً أن كاتب الحدوتة لا يحسِن التلفيق؛ فالشيخ المسلم يعلِن جهْله بالمسافة الزمنية التي تفصِل بين النبيَّين العظيمَين، وهو أمر لا يجهله أصغر تلميذ مسلم، لكن الله - سبحانه - يأبى إلا أن يفضَح الأنبا، وبلسانه هو نفسه، إذ يقول على لسان الشيخ تعليقًا على الموضوع ذاته: "صدقتَ يا راهب، كذلك هو، وكذلك وجدنا في التواريخ"، بما يعني أنه يعرف الفارق الزمني بين محمد والمسيح، ولا يجهله كما ادَّعى عليه الكاتب الكذاب، وواضح كذلك ما في ردود الأنبا وتعليقاته من سفسطة مضحِكة، فهو يتحدَّث كما لو لم يكن هناك إلا الأناجيل التي بأيدي النصارى المثلِّثين، متجاهلاً ما يعرفه كل من له أدنى إلمام بتاريخ النصرانية من أن ثمة أناجيل كثيرة جدًّا سوى التي تعترِف بها الكنيسة، وهي تختلف عن هذه اختلافات عنيفة، مثلما أن هذه تختلف فيما بينها اختلافات عنيفة أيضًا حسبما وضَّحتُ أنا مثلاً في دراسة سابقة لي على المشباك نشرتها عدة مواقع منذ شهور بعنوان: "الأناجيل - نظرة طائر"، كما أن هناك فِرقًا أخرى من النصارى لا تؤمن بألوهية المسيح على أي وضع: لا ربًّا ولا ابنًا للرب، بل عبدًا ورسولاً لا أكثر ولا أقل، وهو ما يقول به القرآن، علاوة على أن ثمة إنجيلاً يحمل اسم برنابا ليس فيه عن المسيح إلا أنه عبد ورسول، مثلُه مثلُ أي نبي آخر من أنبياء الله، ليس ذلك فقط، بل هناك في العهد الجديد أسفار لم تكن الكنيسة تعترف بها في البداية، ثم عادت فأدخلتْها في كتبه، وهي رسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، ورسالة بولس إلى العبرانيين، والرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي، بيد أن الأنبا المدلِّس يقفز فوق هذا كله محاولاً إيهام القارئ الذي ليس لديه اطِّلاع على



تاريخ الأناجيل أن (الأشيا) معدن، وكله تمام التمام، إذًا فليس هناك إنجيل واحد، بل أناجيل كانت بالعشرات اختفى جزء منها وبقيَ جزء آخر، عندي منه أكثر من عشرة أناجيل مترجَمة إلى الإنجليزية، ولا تعترف الكنيسة إلا بأربعة من هذا الجزء الباقي فقط، وقد اتَّخذت الكنيسة إجراءات صارمة للقضاء على هذه الأناجيل، وأصدرت أمرًا بإعدامها، إلا أن الحق غالبٌ مهما كانت قوة أعدائه، ولسوف يأتي يوم ينكشِف فيه ما تُخبِّئه الكنائس في سراديبها البعيدة عن العيون من مخطوطات لا تريد أن يُلقي عليها أحدٌ نظرة؛ مخافة الافتضاح وانهيار البناء المؤسَّس على الباطل!

- ومرة أخرى نقول: إن الإنجيل الذي يتحدَّث عنه الإسلام هو الإنجيل الذي نزل على عيسى، لا الأناجيل التي كُتِبت بعد رفْع الله له، فهذه مجرد تراجم للسيد المسيح تُشبه في إطارها العام سيرة نبينا - عليه السلام - مع الفارق الكبير المتمثِّل في أن السيرة المحمدية قائمةٌ على الإسناد؛ بحيث يعرف القارئ من أين بدأ الخبر، ومَن نقَله لنا، وعمن نقَله، أما الأناجيل فهي كتابات كتبها أصحابها دون أن يعنُّوا أنفسهم بإسناد ما يكتبونه، بل يعتمِدون على الشائعات والروايات المختلفة بلا أية محاولة للتثبُّت والتمحيص، لكن أين الإنجيل الذي كان يبشِّر به المسيح - عليه السلام؟ ذلك هو مربط الفرس! إن في الأناجيل الحالية كلامًا للسيد المسيح - صلى الله عليه وسلم - يذكُر فيه الإنجيل، وهو ما يعني أنه كان هناك إنجيل يبشِّر به - عليه السلام - قبل تلك الأناجيل التي بأيدي النصارى حاليًّا، إلا أن الأناجيل الحالية لا تذكُر في أي موضع منها على الإطلاق أن تلاميذ عيسى ابن مريم كانوا يكتبونه، وأعتقِد أن هذا هو السبب في أنه قد ضاع، لقد بقيت منه - فيما نتصوَّر - عبارات وشذرات نَقَلَها لنا كتَّاب الأناجيل الموجودة بين أيدينا الآن، أما باقي ذلك الإنجيل فلم تحتفِظ به ذاكرة النصارى آنذاك، وبخاصة أن أتباع عيسى - عليه السلام - كانوا - كما هو واضح من القراءة اليقظة للأناجيل - قلة قليلة جدًّا، حتى إنهم عند القبض عليه (حسب رواية تلك الأناجيل)، قد تركوه يُقاسي وحده مصيره الرهيب دون أدنى محاولة من جانبهم للدفاع عنه أو تخليصه من أيدي أعدائه، لا يُستثنى من ذلك أقرب المقرَّبين من حوارييه إليه؛ إذ وجدنا بطرس ينكِره ويقسِم بالله كذبًا: إنه لا يعرف عن هذا الرجل شيئًا، كما أن واحدًا آخر من المؤمنين به خلَع عن نفسه ملابسه التي أمسكه الجند منها ومضى يجري لا يلوي على شيء وهو



بلبوص لا يغطي عورتَه غطاء، فضلاً عن أن الاضطهادات كانت تنتاش هذا العدد القليل جدًّا من كل جانب فلم تدعْ لهم عقلاً، فيما يبدو، يذكرون به كل ما قاله السيد المسيح، وبخاصة في ظل الظروف الغريبة التي انتهت بها حياة المسيح على الأرض! ومن هنا كانت الاختلافات الرهيبة بين الأناجيل المختلفة؛ إذ كان كل مؤلِّف يكتب ما يعِنُّ له أو ما يؤمن به أو ما وصَله وكان على هواه!

- وهذا ما يقوله لوقا مثلاً في أول الترجمة التي كتَبها عن السيد المسيح والمسمَّاة: "إنجيل لوقا"، وهي في الحقيقة ليست من الإنجيل في شيء، اللهم إلا بعض بقايا من بقاياه مما استطاعت الذاكرة النصرانية آنذاك الاحتفاظ به بعُجَره وبُجَره: "[1]إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقَّنة عندنا، [2]كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البَدء مُعاينين وخدامًا للكلمة، [3]رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبَّعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، [4]لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به"، فالأمر إذًا - كما يرى القارئ - لا يعدو أن يكون تأليفًا منقولاً مما سمِعه لوقا وغيره، لا وحيًا من السماء نزل على عيسى وحفِظه التلاميذ من بعده كتابة واستذكارًا كما هو الحال في القرآن الكريم، أو حتى في الحديث النبوي الشريف رُغم نزوله في درجة اليقين عن كتاب الله، لقد كان القرآن المجيد يُكتب أولاً بأول غِب نزوله من عند الله، كما كانت الذاكرة البشرية تظاهِر القلم في ذلك، وفي كل جيل كان ولا يزال هناك ملايين من المسلمين كبارًا وصغارًا يحفظون القرآن عن ظهر قلب، وفي الأحاديث كان هناك منهج لكل محدِّث يعتمِده في قَبُول أو رفض ما يجمعه من الروايات المنسوبة إلى رسول الله، علاوة على أن المسلمين يحفظون كثيرًا من كلامه - صلى الله عليه وسلم - أما الإنجيل فلم يعرف هذا ولا ذاك، إذ لم يحدُث أنْ كُتِب منذ البداية أو فكَّر أحد في حفْظه في صدره، كما أن مؤلِّفيه لم يستنِدوا إلى أي منهج في قبُول ما وقع لهم من الروايات المتعلِّقة بحياة السيد المسيح أو رفضها، وهذا جليٌّ من كلام لوقا في مفتتَح السيرة التي ألَّفها عن حياة عيسى - عليه السلام - كما مرَّ آنفًا.

- وإلى القارئ المثالين التاليين كيلا يكون كلامنا بلا دليل، وأحدهما خاص بنسب السيد المسيح، والآخر يتعلَّق بالحجر الذي قيل: إنه كان يسدُّ القبر الذي دُفن فيه ثم زُحزح من موضعه، فأما



بالنسبة لنَسَب المسيح فمتَّى في بداية الإصحاح الأول يقول: إن عيسى - عليه السلام - هو ابن داود بن إبراهيم؛ أي إنه من سلالة بشرية: "[1]كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم: [2]إبراهيم ولَد إسحاق، وإسحاق ولَد يعقوب، ويعقوب ولَد يهوذا وإخوته، [3]ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد أرام، [4]وأرام ولد عَمِّيناداب، وعَمِّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، [5]وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسى، [6]ويسى ولد داود المِلك، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا، [7]وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد أبيا، وأبيا ولد آسا، [8]وآسا ولد يهوشافاط، ويهوشافاط ولد يورام، ويورام ولد عزيا، [9]وعزيا ولد يوثام، ويوثام ولد أحاز، وأحاز ولد حِزقيا، [10]وحِزقيا ولد منسى، ومنسى ولد آمون، وآمون ولد يوشيا، [11]ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل، [12]وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتئيل، وشألتئيل ولد زربابل، [13]وزربابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد ألياقيم، وألياقيم ولد عازور، [14]وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أخيم، وأخيم ولد أليود، [15]وأليود ولد أليعازر، وأليعازر ولد متان، ومتان ولد يعقوب، [16]ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدَّعي المسيح، هذا ما قاله متى، على حين يقول لوقا في أول فقرة من أول إصحاح فيه: "بَدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله"، أي إنه من سلالة إلهية، لكنه في موضع آخر يورِد نسبه على النحو التالي: "[23]ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف، بن هالي، [24]بن متثات، بن لاوي، بن ملكي، بن ينا، بن يوسف، [25]بن متاثيا، بن عاموص، بن ناحوم، بن حسلي، بن نجَّاي، [26]بن مآث، بن متاثيا، بن شمعي، بن يوسف، بن يهوذا، [27]بن يوحنا، بن ريسا، بن زربابل، بن شألتئيل، بن نيري، [28]بن ملكي، بن أدي، بن قصم، بن ألمودام، بن عير، [29]بن يوسي، بن أليعازر، بن يوريم، بن متثات، بن لاوي، [30]بن شمعون، بن يهوذا، بن يوسف، بن يونان، بن ألياقيم، [31]بن مليا، بن مينان، بن متاثا، بن ناثان، بن داود، [32]بن يسى، بن عوبيد، بن بوعز، بن سلمون، بن نحشون، [33]بن عَمِّيناداب، بن آرام، بن حصرون، بن فارص، بن يهوذا، [34]بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم، بن تارَح، بن ناحور، [35]بن سروج، بن رعو، بن فالَج، بن عابر، بن شالَح، [36]بن قينان، بن أرفكشاد، بن سام، بن نوح، بن لامَكَ، [37]بن



متوشالَح، بن أخنوخ، بن يارد، بن مهللئيل، بن قينان، [38]بن أنوش، بن شيت، بن آدم، ابن الله".

- وكما ترى فهذه السلسلة تختلف إلى حدٍّ بعيد عن سلسلة متى، سواء في عدد حلقاتها أو في ترتيبها، وهو أمر مضحِك؛ إذ ليس من المعقول أن يجهَل القوم سلسلة نسب ربهم، فيا له من رب! ويا له من نسب! ولا تظن أيها القارئ أني أتهكَّم حين أقول: "سلسلة نسَب ربهم"، فقد قالوها هم بأنفسهم، رغم أني كتبتُ ما كتبت قبل أن أرى ما كتبوا، بل رجعتُ إليه فيما بعد، وهذا مثلاً ما كتَبه محررو "تفسير الكتاب المقدس": إن غرض تتبُّع سلسلة نسب ربنا والرجوع به إلى داود هو أن يظهر أن المواعيد التي أُعطيت لداود إنه سيصير سَلفًا للمسيا قد تحقَّقت في يسوع المسيح" (تأليف مجموعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسون/ ط2/ دار منشورات التفسير/ بيروت/ 5/ 1990م/ 14)، بل إن الشخص المذكور في هذه السلسلة على أنه ابن الله ليس هو المسيح، بل آدم، أما المسيح فهو - حسبما كان يقول الناس - ابن يوسف! أما سلسلة متَّى فهي صريحة في أنه ابن يوسف - أستغفِر الله - إذ ليس هناك من معنى للقول بأنه ابن يوسف إلا معنى واحد لا أستطيع أن أنطِق به! وهو ما يؤكِّده النص التالي المأخوذ من مطلع إنجيل توما (أحد الأناجيل غير القانونية):

"And a certain jew when he saw what jesus did, playing upon the Sabbath day, departed straightway and told his father joseph: Lo, thy child is at the brook, and he hath taken clay and fashioned twelve little birds, and hath polluted the Sabbath day".

- إذ يقول المؤلف: إن يهوديًّا من اليهود الغيارى على الشريعة الموسوية، حين رأى عيسى الصغير يصنع يوم سبت من الطين طيرًا، ذهب من فوره إلى "أبيه يوسف"، وشَكا له ما صنَع الغلام من الاعتداء على حُرمة اليوم المقدس، ومِثله قول المؤلف في موضع آخر: إن عيسى ذهب ذات يوم لزراعة القمح مع "والده" في حقلهم: " Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land: and as his father sowed, the young child jesus sowed asso one corn of wheat" ... وغير ذلك من المواضع التي وُصف فيها يوسف بأنه



"أبوه"، بل إننا لنقرأ أن يوسف، تعجُّبًا من المعجزات التي كان يعملها عيسى الصغير، قد دعا ربه شاكرًا أن "أعطاه طفلاً مثله": " Happy am I for that God hath given me this young child".

- وبعد قليل يقول الكاتب السابق: يرجَّح أن سلسلة النَّسب هذه (يقصِد سلسلة النسب المذكورة في متى) لا تتْبَع التسلسُل الطبيعي (الذي تجده في لوقا)، بل الملكي والشرعي الذي بفضْله كان المسيح وارِثًا لعرش داود" (نفس المرجع والصفحة)، ونتساءل: لماذا هذا الاختلاف بين الكاتِبين فلم يذكُر كل منهما النسبين فيريح ويستريح؟ سيقولون: إن كلاًّ منهما ركَّز على جانب من جانبي السيد المسيح، لكن السؤال هو: ولماذا لم يكن كل منهما واضحًا في هذه المسألة التي تقوم عليها الديانة التي ينتمي إليها فيقول بصريح العبارة: إنه قد ركَّز على جانب واحد من الأمر، وترَك الجانب الآخر من أجل كذا وكذا؟ كما أن ثمَّة سؤالاً آخر في غاية الخطورة: تُرى هل معنى تركيز متَّى على الجانب البشري في المسيح أن ينسبه، وفي بداية الإصحاح الأول منه، إلى يوسف النجار، الذي كان كثير من اليهود وما زالوا يتَّهمون به مريم عليها السلام؟ إن أقل ما يُقال في متى أنه قد أعطى بذلك أعداء المسيح - صلى الله عليه وسلم - الخنجر لطعْن شرفه وعِرْض أمِّه الكريمة الطاهرة التي رفَعها القرآن الكريم فوق نساء العالمين! وها هو ذا متى يؤكِّد أنه ابن يوسف ومريم معًا في أكثر من موضِع، إذ يصفهما مثلاً بأنهما: "أبواه" (2/ 41)، "وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه، ليَصنعا له حسَب عادة الناموس" (2/ 27)، كما تقول مريم مخاطبةً عيسى الصغير وهي تشير إلى يوسف ونفْسها: "يا بُنيَّ، لماذا فعلتَ بنا هكذا؟ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلُبك معذَّبَين! (2/ 48).

- ولو تركنا وراء ظهورنا هذه المشكلة إلى أن يجد لها أحدٌ حلاًّ - وهذا مستحيل - وانتقلنا إلى المثال الثاني، وهو موضوع الحجر الذي زُحزح من فوق فوهة القبر المدفون فيه المسيح، لوجدنا عدة مشاكل معقَّدة أشدَّ التعقيد، وكل ما في تلك الديانة معقَّد تعقيدًا لم تتعقَّده أية قضية أخرى: فهل كانت أمه مريم وخالتُه هما اللتين ذهبتا إلى القبر؟ أم هل كانت مريم المجدلية ومريم الأخرى؟ أم هل كانت المجدلية وحدها؟ وهل كان ذلك في غَلَس الظلام؟ أم هل كان عند الفجر؟ أم هل كان بعد



بزوغ الشمس؟ وهل دخلت مَن ذهبت هناك إلى القبر أو لم تدخُله وانصرفتْ كما جاءت؟ وهل كان هناك ملاك واحد أو اثنان أو شاب أو لم يكن هناك ملائكة ولا ناس بالمرة؟ وهل كل الذي قيل هو أن يسوع قام من الأموات وينتظِر تلاميذه في الجليل؟ أم هل قيل كلام أكثر من ذلك؟ وهل أتى بعض التلاميذ للقبر ليتأكَّدوا مما حدَث أو لا؟ وهل لَمست مريم المسيح كما جاء في الرواية التي تقول: إنها ورفيقتها أمسكَتا بقدميه وسجَدتا له؟ أم هل منَعها - عليه السلام - من لمسه بذريعة أنه لم يصعد بعدُ إلى السماء، وكأنها بعد صعوده للسماء ستراه مرة أخرى وتلْمسه كما تحب؟ والمضحِك أنها، بعد كل ما قاله لها عن "أبيه وأبيهم وإلهه وإلههم"، تقول: إنها قد رأت "ربها"! وها هي ذي النصوص أضعُها أمام القارئ ليُقارِن بينها، ويتحقَّق من الأمر بنفسه:

- متى (ف 27 - 28): "[62]وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمَع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس [63]قائلين: يا سيد، قد تذكَّرنا أن ذلك المضِل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم، [64]فمُرْ بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرِقوه، ويقولوا للشعب: إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى! [65]فقال لهم بيلاطس: عندكم حرَّاس، اذهبوا واضبِطوه كما تعلمون، [66]فمضوا وضبَطوا القبر بالحراس وختَموا الحجر، 28 [1]وبعد السبت، عند فجر أول الأسبوع، جاءت مريم المجدَلية ومريم الأخرى لتنظُرا القبر، [2]وإذا زلزلة عظيمة حدثت؛ لأن ملاك الرب نزَل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلَس عليه، [3]وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج، [4]فمن خوفه ارتعَد الحراس وصاروا كأموات، [5]فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما، فإني أعلَم أنكما تطلُبان يسوع المصلوب، [6]ليس هو ههنا، لأنه قام كما قال! هلمَّا انظرا الموضِع الذي كان الرب مضطجِعًا فيه، [7]واذهبا سريعًا قولا لتلاميذه: إنه قد قام من الأموات، ها هو يَسبِقكم إلى الجليل، هناك تَرونه، ها أنا قد قلت لكما، [8]فخرَجَتا سريعًا من القبر بخوف وفرح عظيم، راكضتين لتخبِرا تلاميذه، [9]وفيما هما منطلِقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال: سلامٌ لكما، فتقدمَتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، [10]فقال لهما يسوع: لا تَخافا، اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يَرونني"،

- مرقس (ف 16): "16 [1]وبعدما مضى السبتُ، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب

وسالومة، حنوطًا ليأتِينَ ويدهَنَّهُ، [2]وباكرًا جدًّا في أول الأسبوع أتينَ إلى القبر إذ طلَعت الشمس، [3]وكنَّ يقلن فيما بينهن: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ [4]فتطلَّعنَ ورأينَ أن الحجر قد دُحرج! لأنه كان عظيمًا جدًّا، [5]ولما دخلنَ القبر رأينَ شابًّا جالسًا عن اليمين لابسًا حُلة بيضاء، فاندهشْنَ، [6]فقال لهن: لا تندهِشنَ! أنتن تطلُبن يسوع الناصري المصلوب، قد قام! ليس هو ههنا، هوذا الموضع الذي وضعوه فيه، [7]لكن اذهبْنَ وقلن لتلاميذه ولبطرس: إنه يسبِقكم إلى الجليل، هناك ترونه كما قال لكم، [8]فخرجنَ سريعًا وهرَبْنَ من القبر، لأن الرعدة والحَيرة أخذتاهن، ولم يقلن لأحد شيئًا لأنهن كن خائفات، [9]وبعدما قام باكرًا في أول الأسبوع ظهَر أولاً لمريم المجدلية، التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين، [10]فذهبت هذه، وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينُوحون ويَبكون، [11]فلما سمع أولئك أنه حي، وقد نظَرتْه، لم يصدِّقوا". - لوقا (ف 24): "24 [1]ثم في أول الأسبوع، أول الفجر، أتينَ إلى القبر حامِلات الحنوط الذي أعددنَهُ، ومعهن أُناس، [2]فوجدنَ الحجر مدحرَجًا عن القبر، [3]فدخلنَ ولم يجدن جسد الرب يسوع، [4]وفيما هن محتارات في ذلك، إذا رجلان وقفا بهن بثياب برَّاقة، [5]وإذ كن خائفات ومنكِّسات وجوههن إلى الأرض، قالا لهن: لماذا تَطلُبن الحي بين الأموات؟ [6]ليس هو ههنا، لكنه قام! اذكرن كيف كلمكُنَّ وهو بعد في الجليل [7]قائلاً: إنه ينبغي أن يُسَلَّم ابن الإنسان في أيدي أناس خُطاة، ويُصلب، وفي اليوم الثالث يقوم، [8]فتذكرنَّ كلامه، [9]ورجعن من القبر، وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله، [10]وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن، اللواتي قُلن هذا للرسل، [11]فتراءى كلامُهُن لهم كالهَذَيَان ولم يصدِّقوهنَّ، [12]فقام بطرس وركَض إلى القبر، فانحنى ونظَر الأكفان موضوعةً وحدها، فمضى متعجِّبًا في نفسه مما كان".

- يوحنا (ف 20): "20 [1]وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرًا، والظلام باقٍ، فنظرت الحجر مرفوعًا عن القبر، [2]فركَضت وجاءت إلى سمعان بطرس، وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه! [3]فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر، [4]وكان الاثنان يركُضان معًا، فسبَق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر، [5]وانحنى فنظر الأكفان موضوعة، ولكنه لم يدخل، [6]ثم جاء سمعان بطرس يَتْبعه، ودخل



القبر ونظَر الأكفان موضوعة، [7]والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعًا مع الأكفان، بل ملفوفًا في موضِع وحدَه، [8]فحينئذ دخل أيضًا التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر، ورأى فآمن، [9]لأنهم لم يكونوا بعْد يعرفون الكتاب: أنه ينبغي أن يقوم من الأموات، [10]فمضى التلميذان أيضًا إلى موضِعهما، [11]أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجًا تبكي، وفيما هي تبكي انحنَت إلى القبر، [12]فنظرت ملاكَين بثياب بيض جالسين واحدًا عند الرأس والآخر عند الرِّجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعًا، [13]فقالا لها: يا امرأة، لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي، ولست أعلَم أين وضعوه! [14]ولما قالت هذا التفتتْ إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفًا، ولم تعلم أنه يسوع، [15]قال لها يسوع: يا امرأة، لماذا تبكين؟ من تطلُبين؟ فظنَّت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيد، إن كنتَ أنت قد حمَلته، فقل لي أين وضعته، وأنا آخذه، [16]قال لها يسوع: يا مريم، فالتفتتْ تلك وقالت له: ربوني! الذي تفسيره: يا معلِّم، [17]قال لها يسوع: لا تلمسيني؛ لأني لم أصعَد بعْد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعَد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، [18]فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا"، والآن فلينظر القارئ الفَرق بين ما ردَّده من ألوان الهلْس الأنبا جرجي الذي ليس له أي وجود إلا في أوهام الكذابين، وبين حقيقة أمر الأناجيل كما هي في الواقع، كل ذلك، ولم نقل شيئًا عن الشكوك العاصفة التي تُحيط بكل ما يتعلَّق بالأناجيل: كتَّابها الحقيقيين، وتاريخ كتابتها، ومدى أهليتها للثِّقة عند العلماء المحقِّقين من النصارى قبل المسلمين.

– وهنا تنعطِف المجادَلة في الحدوتة التي نحن بصددها إلى المقارنة بين الرسول الكريم وأخيه عيسى ابن مريم – عليهما السلام – فنقرأ ما يلي:

– "قال المسلم: فمحمد عندكم في منزلة دون المسيح ودون الحواريين؟

– قال الراهب: وكيف أَستجيز أن أساوي بين العبد بالمولى، والمخلوق بالخالق، والإنسان بالإله؟

– قال المسلم: ألا تعلم يا راهب أن محمَّدًا نبيُّ الله ورسوله؛ لأنه هدى أمة إسماعيل، ونقَلها عن عبادة الأصنام إلى عبادة الله نظير المسيح ورسله؟

– قال الراهب: أنا أعلَم أن محمدًا تملَّك على الأعراب أولاد إسماعيل، ونقَلهم من عبادة الأصنام



إلى معرفة الله، لكن ليس إلى معرفته الحقيقيَّة؛ لأنه قصَد التملُّك عليهم وإدخالهم تحت الطاعة له أكثر من أن يعرِّفهم الخالق المعرفة الحقَّة، فإن أطلَت أنَّاتك، وملَكت الصبر في ذاتك وتوادَعتَ في أخلاقك أوردتُ لك الحُجَّة الكافية عنِّي وعن أهل ديني في أمر محمد، ولماذا لم نوجِّبه ولم نَدْعُه نبيًّا ولا رسولاً.

- قال المسلم: إذ كان الأمير، أعزَّه الله، قد أرخى لك العِنان وخوَّلك الأمان وفسَح لك الكلام في دين الإسلام، فقل ما شئتَ.

- أجاب الأمير وقال: يا أبا سلامة، إن الراهب إلى الآن لم ينطقْ إلا بما يناسب الصدق ويقرب إلى الحق ويليق في قياس العقل.

- قال المسلم: هاتِ ما عندك في أمر محمَّد.

- قال الراهب: اعلم يا أبا سلامة أن محمدًا كان من الأعراب من بني قريش في أمَّة إسماعيل من بني هاجر المصريَّة عَبْدة سارة امرأة إبراهيم، وكان رجلاً أعرابيًّا سفَّارًا يتردَّد بسفره إلى بيت المقدس، فأضاف برجل نصراني نسطوري اسمه بحيرى، فلما استخبَره بحيرى عن مذهبه ودينه وجَدَه من الأمَّة التي لا تعرف الله من بني إسماعيل، وكانوا يعبدون صنمًا يسمُّونه الأكبر، وكانت صلاتهم أمام ذلك الصنم أشعارًا تشتمِل معانيها على الشوق والعشق، وكانوا يكتبونها على الألواح ويعلِّقونها فوق ذلك الصنم يصلُّون بها ويتقرَّبون بها إليه ويسمُّونها: "المعلَّقات السبع"، فلما علِم بحيرى أنه من تلك القبيلة رقَّ له على سبيل الأُلفة والمروءة وأفاده المعرفة بالله، وتلا عليه فصولاً من الإنجيل والتوراة والزبور، ولما عاد محمد إلى أرضه وأمته قال لهم: ويحكم! إنكم على ضلالة وعبادة باطلة ضارة غير نافعة، وكان محمد يكاتِب بحيرى بما يتجدَّد له، وبحيرى يأمره بنهيهم عن مِثل ذلك".

- وهذا كله خَبَل وكذِب وافتراء، فليس عيسى سوى عبد الله ورسوله، والله - سبحانه - لا يمكن أن يتجسَّد ويدخل بطن امرأة تحبَل به وتلِده وتعطِف عليه فتُرضعه وتَربِت على ظهره حتى ينام، وتغيِّر له كافولته وتعلِّمه المشي والكلام، وتغنِّي له وترقِّصه، وعندما يكبَر قليلاً تنهره بل تضربِه إذا عصاها مثلاً، وتُمَشْوِره في طلبات البيت وتُرسله للمعبد لتعليمه الكتابة والقراءة على أيدي الأحبار من بني إسرائيل! أما بخصوص بحيرى والكلام المضحك الذي يفتريه النصارى بشأنه منذ قرون

وقرون، فهل كان بحيرى يلتقيه – عليه السلام – في جُبٍّ تحت الأرض؛ بحيث لا يراه أحد فيسجِّل لنا ما كانا يتقاولانه؟ إنَّ حياته – صلى الله عليه وسلم – كتاب مفتوح، ولم يحدُث شيء من هذا على الإطلاق، ثم لماذا لم يتكلَّم بحيرى أو أحد من النصارى الذين كانوا مع بحيرى أو كان لهم اتِّصال ببحيرى، فيقول: إنه هو الذي علَّم محمدًا كذا، وقال له: قل كذا، وأْمُرْ قومك بكذا، وانْهَهُم عن كذا، وبالمِثل فإن أحدًا من قومه، ومنهم من كان يخرج معه في القوافل للتجارة وسمع ببحيرى أو رآه إذا كان لبحيرى هذا وجود، لم يفتح فمَه بكلمة واحدة من هذا الاتِّهام، ولم يجرِ بحيرى لهم على لسان ولو مرة واحدة عارِضة طَوال الحرب الضروس التي شنُّوها عليه – صلى الله عليه وسلم – وامتدت أعوامًا طوالاً لم يألوا أثناءها جهدًا في اتهامه بكل التهم، ثم رجعوا فلحسوا جميع ما قالوه فيه وآمنوا به، مبرهِنين بذلك على أنهم – في كل ما عابوه به –كانوا يكذبون كذبًا مفضوحًا، فما معنى ذلك؟ وحتى لو صدقنا بأنه قد قابَل بحيرى مرة يتيمة في سَفْرة من سفَراته، وهو صبيٌّ صغير إلى بلاد الشام رفقةَ عمه أبي طالب (وكان ذلك بالمناسبة على مرأى ومسمَع من القافلة كلها، وكان بحيرى، حسبما تقول الرواية، هو الذي طلب رؤيته وأراد الاطمئنان إلى أنه هو النبي المنتظَر، وحذَّر عمه أبا طالب من غدْر يهود، طالبًا منه أن يعود به من حيث أتى حتى لا يتعرَّض لمكايدهم، وهذه هي المرة اليتيمة التي يقال: إن بحيرى قد رآه فيها كما قلنا)، فمتى وأين كان يقابِله بحيرى بعد ذلك، ومعروف أن الرسول، بمجرَّد أن بدأ دعوته إلى أن هاجر للمدينة، لم يغادِر مكة إلا إلى الطائف مرة يتيمة؟ وكيف كانت تدور بينهما المحاورات والمناقشات والمراجعات يا ترى وهما لا يلتقيان؟

– ثم إن ما قاله القرآن عن المسيح وأنه لم يُصْلَب ولم يُقْتَل ولم يكن ثمة فداء ولا خطيئة أولى ليتصادَم مع النصرانية كما يؤمِن بها القطاع الأعظم من النصارى، فما موقع بحيرى من إعراب تلك الجملة؟ ولماذا اندفعت الملايين النصرانية إلى الدخول في الإسلام عند سُنوح أول فرصة، والتصديق بما قاله محمد عن دينهم السابق إذا كانوا يعرفون حقيقة أنه ليس إلا صناعة نصرانية بحيراوية؟ لقد كان عندهم الأصل، فكيف يتركونه ويؤثِرون عليه الفرع؟ كذلك فإن القول بأنه – عليه السلام – كان أعرابيًّا هو كذِبٌ فاضح، فالأعراب هم سكان البادية، والرسول كان من قريش سكان أم



القرى، وكان يشتغِل بالتجارة قبيل رسالته، فهو إذًا حضري لا بدوي، فكيف يقول الراهب المهتوك: إنه - عليه السلام - كان أعرابيًّا؟ وأنكى من ذلك أن يحاول ذلك الأحمق إقناعنا بأن الشيخ المسلم قد وافَقه على هذا الهراء، وكان كل همِّه مساواة الرسول بالمسيح؛ إذ ما من عالم من علماء الإسلام إلا ويعلم أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - هو سيد الأنبياء والمرسلين، وأنه قد فُضِّل على سائرهم بعدة مزايا، وأنه فوق ذلك مرسَل إلى الناس كافة لا إلى أولاد إسماعيل وحدهم، وإلا فأين نضع الأكراد والفرس والترك وأهل الهند والصين والشام وفلسطين ومصر والسودان والمغرب والأندلس، ثم أهل أوربا وأمريكا وأستراليا في العصر الحديث؟ أوَكل هؤلاء من أولاد إسماعيل؟ إن أصغر طفل مسلم في أتْفه كُتَّاب في أحقر قرية في أجهل بلد في العالم ليَعرف أن محمدًا هو رسولٌ للعالمين جميعًا، على حين أن عيسى (كما يقرأ كل يوم في القرآن) لم يُرْسَل إلا لبني إسرائيل وحدهم ليس إلا، وأن هذا هو أحد الفروق بين الرسولين الكريمين، فكيف تغيب هذه عن إمام من أئمة المسلمين أو عن الأمير الذي دارت المجادَلة في حضرته، وهو ابن من أبناء صلاح الدين "الكردي" قاهِر الصليبيين، ومكَمِّد المثلِّثين، وناصر دين النبي الأمين، محمد سيد الأنبياء والمرسلين؟ ويبقى تخريف الأنبا الأخرق الذي يدَّعي فيه كذبًا وزورًا أن العرب كانوا يُصلُّون لآلهتهم بالقصائد التي يَنظِمها شعراؤهم في الغزل والمديح والفخر والهجاء والحروب، ويكتبونها على ألواح يعلِّقونها عليها، أرأيتم - أيها القراء - قلة حياء وسماكة جلد بهذا الشكل؟ إنني رُغم تخصُّصي في الأدب العربي ورغم تأليفي عدة دراسات في الأدب الجاهلي لم أسمع بهذا قط، ولن أسمع به عَوْضُ!

- "قال الراهب: لعمري إن محمدًا يقول: إنه وأنتم على هدى أو ضلال مُبين عن الهدى والطريق المستقيم بقوله: "ما أعلم ما بي وبكم"، وقال أيضًا: "إني وإياكم على هدى أم على ضلال مبين" (سورة سبأ)، وقوله: "اتقوا ما استطعتم لعلكم تفلحون"، ثم رسم لكم في كل صلاة تصلُّونها أن تسألوا الله الهدى إلى الطريق المستقيم بقولكم: "اهدنا السراط المستقيم" (الفاتحة)، فإن كنتم على هُدى، فما لكم حاجة لتَسألوا الهُدى؛ لأن من قد اهتدى دفعةً فما باله يسأل الهدى؟ بل يسأل الله العون للسير في هداه، وخذ المِثل في ذلك واجعل أيها الأمير أنني اليوم قد خرجت عن



حضرتك طالبًا المقرَّ والوطن وضلَلتُ عن السبيل، فلا أزال أسأل الله والناس الهُدى حتى أجد السبيل فما بي حاجة أن أسأل الهدى، بل أسأل العون على الوصول إلى الوطن.

- قال المسلم: وهو كما تقول.

- قال الراهب: ولو عرف محمد أنكم على هُدى لما سنَّ وشرع لكم السؤال إلى الله في الرُّشد والهدى، ثم لعلمه أن صلاته لا تُجزيه عند الله - تعالى - ربَطك أيضًا وشرع لكم الصلاة عليه بقوله: "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا".

قال المسلم: أما علِمتَ أن الله وملائكته يصلُّون على محمد؟ أفما يجب أن أصلِّي أنا عليه؟

- قال الراهب: أفما كان أولى بك أن تُصلي على ذاتك، وتسأل الله العفو عن زلاتك، ولا تكون كمن أضواه الجوع، وهو يسأل الطعام لغيره، أو كمن انسقَم بذاته، ويطلُب الطبَّ لغيره؟ فإذا كنتَ أنت والله والملائكة يصلُّون على محمَّد، فمن الإله الذي يقبَل الصلاة؟ فإذا كان هذا الرأي فقد ساويت بالصلاة بين الله وملائكته والناس.

- قال المسلم: إن الصلاة هي رحمة منه على عباده.

- قال الراهب: فمن قدَر على نيل رحمة الله وملائكته فما به حاجة إلى صلاتك، بل الأولى بك أن تصلِّي على نفسك.

- قال المسلم: أفما تُصلُّون أنتم النصارى على مسيحكم؟

- قال الراهب: لا، ولكنَّا نُصلي إليه؛ لأنه إلهنا وخالِقنا، وهو يقبَل صلاة العباد.

- قال المسلم: يا ذا الكفر المبين والرأي الفاسد الوخيم! إنكم تعبدون إنسانًا مخلوقًا وُلد من امرأة وصابه من الهوان ما أنتم به مُقِرُّون، وأنت يا راهب لا تنكِره على نفسك، وأنت تتَّقِح وتهجو نبينا محمد المصطفى".

- أرأيتُم رقاعة بهذا الشكل؟ ترى ما وجه الخطأ في أن يستعين الإنسان بربه ويطلُب منه أن يَهديَه فلا يضل السبيل؟ إن هذا التخطيء والتشنيع ليناقِض الإيمان بالله من أساسه، وإلا فما معنى عبادة الله والإيمان بقدرته ورحمته؟ وما الفرق بين المؤمن والكافر إذًا؟ يا أيها الأنبا الجاهل، ألم تقرأ ما ورَد في الإصحاح الثالث من الإنجيل الذي ألَّفه متى عن محاولة الشيطان إغواء المسيح؟ فهذا هو



ما يتعوَّذ منه المسلم بالضبط، فماذا فيه؟ "[1]ثم أُصعِد يسوع إلى البرية من الروح ليجرِّب من إبليس، [2]فبعد ما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة، جاع أخيرًا، [3]فتقدم إليه المجرِّب وقال له: "إن كنت ابن الله فقل أنْ تَصير هذه الحجارة خبزًا"، [4]فأجاب وقال: "مكتوب: ليس بالخبز وحدَه يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرُج من فمِ الله"، [5]ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدَّسة، وأوقَفَه على جناح الهيكل، [6]وقال له: "إن كنت ابن الله فاطرَح نفسك إلى أسفل؛ لأنه مكتوب: أنه يوصِي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحمِلونك لكي لا تصدِم بحجرٍ رِجْلَك"، [7]قال له يسوع: "مكتوب أيضًا: لا تجرِّب الرب إلهك"، [8]ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عالٍ جدًّا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، [9]وقال له: "أُعطيك هذه جميعها إنْ خررتَ وسجدتَ لي"، [10]حينئذ قال له يسوع: "اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تَعبد"، [11]ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدُمه"، ألم يكن عيسى - عليه السلام - وهو الإله حسَب ادِّعائهم، يعرف الطريق المستقيم؟ بلى كان يعرف ذلك، إلا أن هذا لم يمنع أمير الظلام من الاجتهاد في محاولة إضلاله وتكفيره مرة واحدة لا إغرائه بالزنا مثلاً أو السرقة فقط! ألا يقول القوم في صلاتهم: "نجِّنا من الشرير (أي الشيطان)"؟ بلى يقولون ذلك، فما العيب إذًا أن يقول مثلها المسلمون؟ ألم يتَّهم عيسى - عليه السلام - حوارييه مِرارًا بضعف الإيمان والنفاق، رغم أنهم كانوا قد عرفوا الطريق واتَّبعوه؟ ثم ما معنى نُصحه لهم في النص التالي: "أنتم مِلح الأرض، ولكن إن فسَد الملح فبماذا يُملَّح؟ لا يصلح بعد لشيء، إلا لأن يُطرَح خارجًا ويُداس من الناس"؟ أليس معناه أن من الممكن جدًّا بعد اهتدائهم على يديه أن يعودوا فينتكِسوا ويفسدوا مثلما يفسد المِلح، فيُلقى به عندئذ تحت الأقدام ويَدوسه الناس؟ إذًا فمخاطر الطريق كثيرة حتى لو تأكَّد الإنسان أنها هي فعلاً الطريق التي تؤدِّي به إلى هدفه؛ إذ من الجائز مثلاً أن يهجم عليه أسد أو يطلع عليه لص أو قاطع طريق أو يقع في الظلام في حفرة مهلِكة أو يلدغه ثعبان أو يتعرَّض له بتزيين الكفر أحدُ الضالين المضلِّين مثلاً!

- لنسمع ما ينسبونه من نصائح وتوجيهات للمسيح في إنجيل متى على سبيل المثال: "[27]قد سمعتم أنه قيل للقدماء، لا تزنِ، [28]وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظُر إلى امرأة ليشتهيها، فقد



زنى بها في قلبه، [29]فإن كانت عينك اليمنى تُعثِرك فاقلَعها وألقِها عنك، لأنه خير لك أن يهلِك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم، [30]وإن كانت يدك اليمنى تُعثِرك فاقطعها وألقِها عنك، لأنه خيرٌ لك أن يهلِك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم، احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدَّام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجرٌ عند أبيكم الذي في السموات، [2]فمتى صنعت صدقة فلا تصوِّت قدَّامك بالبوق، كما يفعل المراؤون في المجامِع وفي الأزقَّة، لكي يمجَّدوا من الناس، الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم! [3]وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرِف شمالك ما تفعل يمينك، [4]لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يُجازيك عَلانية، [5]ومتى صلَّيت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يُحبون أن يُصلُّوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع، لكي يظهروا للناس، الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم! [6]وأما أنت فمتى صلَّيت فادخل إلى مَخدعك وأغلِق بابك، وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يُجازيك علانية، [7]وحينما تصلُّون لا تُكرِّروا الكلام باطلاً كالأمم، فإنهم يظنُّون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم، [7]فلا تتشبَّهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه، [16]ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم يُغيِّرون وجوههم لكي يَظهروا للناس صائمين، الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم، [17]وأما أنت فمتى صمْت فادْهِن رأسك واغسل وجهك، [18]لكي لا تظهر للناس صائمًا، بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية، [19]"لا تكنِزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يُفسِد السوس والصَّدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون، [20]بل اكنِزوا لكم كنوزًا في السماء، حيث لا يُفسِد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، [21]لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا، [22]سِراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيِّرًا، [23]وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مُظلِمًا، فإن كان النور الذي فيك ظلامًا فالظلام كم يكون!".

- أليس هذا وسواه مما يمكن أن يُفاجئ الإنسان في أثناء الطريق؟ أليس هذا وسواه هو ما سمَّاه السيد المسيح في النص التالي: "عثرات"؟: "[7]ويل للعالم من العثرات! فلا بد أن تأتي العثرات، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العَثْرة! [8]فإن أعثَرَتْك يدك أو رجلك فاقطعها وألقِها



عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعرَج أو أقطع من أن تُلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان، [9]وإن أعثَرتك عينك فاقلَعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تُلقى في جهنم النار ولك عينان".

أليس هذا وسواه ما ينبغي أن يتعوَّذ الإنسان منه ويستعين بالله عليه؟ ألم يضل حواريوه حين تركوه ساعة القبض عليه وفرُّوا هاربين لا يلوُون على شيء، وأنكروه وأقسَم بطرس إنه لا صِلة له به البتة طبقًا لرواية الأناجيل؟ أما كانوا يعرفون الطريق المستقيم؟ أمَنَعَهم هذا من الحيد عن الطريق؟ إن الشهوات إنما تسكُن أعماق قلوبنا ولا تأتينا من خارج: "[20]إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجِّس الإنسان، [21]لأنه من الداخل، من قلوب الناس، تخرُج الأفكار الشريرة، زنا، فسْق، قتْل، [22]سرقة، طمَع، خُبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهْل، [23]جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجِّس الإنسان"؛ (مرقس/ 7)، ومن ثَمَّ فلا مفرَّ لنا منها، وكل ما نستطيعه حيالها هو أن نبذُل جُهدنا للانعتاق مما تُغرينا به من حرام، أما أن نتجاهَلها تمامًا فمستحيل، ولسوف نظل طول الحياة نتعرَّض لإغراءاتها، ولسوف يظلُّ المؤمن بحاجة إلى الاستعانة عليها بربه ودعائه إياه أن يهديه الصراط المستقيم فلا يَحيد عن الحلال، ولا يتطلَّع إلى الحرام، إننا نَسلُك في العادة طريقًا معيَّنًا كل يوم، ومع هذا فكثيرًا ما تقع فيه أشياء تنكِّد علينا صفونا، بل كثيرًا ما تحدُث مصائب لا تخطُر على بال، كأن يُلقي أحدهم - ولو بدون قصد - حجرًا يكسِر زجاج النافذة، أو نفاجأ ببلاعة لم نتحسَّب لها؛ لأن اللصوص سرَقوا غطاءها فنقع فيها، أو أهمَل العمال إحكامه فبقي ناتئًا فاصدَمت به عجلات سيارتنا فتمزَّقت إطاراتها كما حدَث لي ذات مرة، أو بسلك كهربي عارٍ فيَصعقنا، أو ببلطجي يعترِض طريقنا ويجرِّدنا مما معنا، أو ببعض السفلة يخطفوننا ويضربوننا ثم يخلَعون عنا ملابسنا ويتركوننا في طريق صحراوي إلى أن تمرَّ سيارة يعطف أصحابها علينا ويأخذوننا معهم ونحن على هذا الوضع المزري الذي قصَد به فاعلوه أن يربُّونا حتى نلزم حدودنا، ولا نتعرَّض للكِبار بكلمة سفيهة مثلنا، ونمشي على العجين فلا نلخبطه... إلخ، وهذا رُغم الفارق الكبير بين الطريق الذي نقطعه كل يوم وطريق الحياة الذي يمتدُّ من ميلادنا إلى مماتنا: فطريق الحياة لا ينتهي ولا نعرفه حق المعرفة إلا بعد أن نموت، ونظل طول عمرنا نجهل



مفاجآته ومنعطفاته، أما طريق كل يوم فقد حفِظناه عن ظهر قلب؛ إذ نقطعه كل يوم ذهوبًا وجيئة مرات ومرات، ومع هذا فما أكثر ما يُبادِهنا بما لم يخطُر لنا من قبل على بال، فما بالنا بالطريق الآخر المحجوب عنا؟ ثم هل يصحُّ أن نُقيم من أنفسنا قضاة على سلوكنا وأخلاقنا فنُصدر لمصلحتها الأحكام ونُعطيها الدرجات والتقديرات العالية ونتجاوز بهذا حدودنا وصلاحياتنا؟

- وقبل ذلك كله ألم يتعمَّد المسيح على يد يحيى مؤكِّدًا أنه ينبغي له تلقِّي التعميد منه حتى يكمل كل بر؟ ألم يأكل هو وتلاميذه من الحقل دون إذنٍ من أصحابه؟ ويقول الأحمق: إن عيسى لم يكن يُصلِّي لله، بل كان الناس يصلُّون له، ألم أقل: إنه جاهل حتى بكتابه الذي يقدِّسه؟ ألم يقرأ ما قاله متَّى بعد انصراف الجموع الذين أطعَمَهم سمكًا وخبزًا: "[22]وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة، ويَسبِقوه إلى العبر حتى يصرِف الجموع، [23]وبعدما صرَف الجموع صعد إلى الجبل منفردًا ليُصلي"، "[36]حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها: جثسيماني، فقال للتلاميذ: "اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلِّي هناك"، [37]ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزَن ويكتئب، [38]فقال لهم: "نفسي حزينة جدًّا حتى الموت، امكثوا ههنا واسهَروا معي"، [39]ثم تقدَّم قليلاً وخرَّ على وجهه، وكان يُصلِّي قائلاً: "يا أبتاه، إن أمكن فلتعبُر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"، [42]فمضى أيضًا ثانية وصلَّى قائلاً: "يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبُر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك"، [43]ثم جاء فوجدهم أيضًا نيامًا، إذ كانت أعينهم ثقيلة. [44]فتركهم ومضى أيضًا، وصلَّى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه"، ألم يغلِبه الألم على نفسه فجعل يصرُخ ويدعو الله قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" فما معنى هذا؟ ألم يسمع الأنبا الجاهل قول المسيح كما حكاه كتابه: "لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد، وهو الله"، ومن هنا كانت دهشتي عظيمة حين شاهَدت ذات مرة إحدى الراهِبات الأجنبيات في برنامج مرئائي عربي تؤكِّد أنها لا تُخطئ ولا ترتكب ذنبًا، وأنها من ثَمَّ تعرف أنها ناجية يوم القيامة، إن هذا لهو الخبَل العقلي والغرور الخُلُقي! نعوذ بالله من انغلاق القلوب وتحجُّر الضمائر! إن الراهبة المخبولة تتصوَّر نفسها، وكأنها إنسان آلي مبرمج على نظام معيَّن فهو لا يعدوه ولا يستطيع الخروج عنه إلى ارتكاب الخطأ بحال، وأنى لها أو لسواها ذلك؟ بل من قال: إن الإنسان الآلي لا يُخطئ أو



يتعطَّل أو يخرج على برنامجه المغَذَّى به سلفًا؟ أوَقدْ تجرَّدت تمامًا ونهائيًّا من الغرائز والشهوات فهي لا تضل أبدًا؟ إن استغفار محمد وطلبه الهدى دائمًا من ربه لهو أكبر دليل على صدْقه - صلى الله عليه وسلم - وإلا أفلم يكن قادرًا على أن يقول ما قالته الراهبة المجنونة لو كان الأمر عنده أمر ادِّعاء للنبوة؟ لا، لا، ليس هذا بصنيع الكذابين المدلِّسين! لقد كان محمد نبيًّا عظيمًا رغم أنه كان دائمًا ما يحُثُّ أتباعه ألا يفضِّلوه على أي من إخوانه، وهذه هي العظمة النفسية والأخلاقية في أبهى صورها! أما أمر القرآن له في سورة "سبأ" - عليه السلام - بأن يقول للكفار: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ: 24]، فهو الغاية في أدب الجدال؛ إذ الأمر من الناحية النظرية المجرَّدة لا يخرج عن هذا، وقد أُمِر - صلى الله عليه وسلم - بذلك حتى يضع حدًّا للجدال الذي لا ينتهي، والذي كان الكفار بغبائهم وعِنادهم بارعين فيه، مثلما كان بنو إسرائيل يشغبون دائمًا على المسيح طبقًا لروايات الأناجيل، ويكثِرون من الأسئلة التي يريدون بها إرهاقه وإعناته لا التعلُّم منه ومحاولة الوصول إلى الحقيقة بالتعاون معه، وأنا، أيها العبد الضعيف، كثيرًا ما ألجأ لشيء مِثل هذا في محاضراتي حين يطول الجدال بيني وبين أحد الطلاب دون أن ننتهي إلى رأي نتَّفق عليه أو نتوصَّل إلى حلٍّ وسَط، فأقول له عندئذ: "هأنتذا ترى أننا قد وصلنا إلى طريق مسدود وأن كُلاًّ منَّا قد قال كل ما لديه ولم يعُدْ هناك شيء يمكن أن يضاف إلى ما قلناه، فلهذا لا داعي لأن نمضي في المناقشة بعد أن أصبحت المسألة واضحة، ولم يعد هناك من جديد نقوله، ولا يُريد أحدنا أن يقتنِع بما يقوله الآخر، وقد أكون أنا المخطئ، أو قد تكون أنت"، أقول له هذا دون أن أحاول إجباره على تبنِّي رأيي! كل ذلك دون أن أحاوِل التقليل من موقفه رُغم تصوُّري أنني بطبيعة الحال على الحق، وأنني أعلَم من الموضوع أكبر كثيرًا مما يعلم هو، ولكن هذه هي "الطريقة الديمقراطية"، وفي النهاية ألم يقل عيسى - عليه السلام -: إن جميع من أتى قبله من الأنبياء والمرسلين كانوا لصوصًا؟ "8جميع الذين أتوا قبلي هم سُرَّاق ولصوص"؛ (يوحنا/ 10)، نعم جميع الأنبياء بما فيهم إيليا وموسى كما أكَّد د. ألبير باييه في كتابه: "أخلاق الإنجيل - دراسة سوسيولوجية" (ترجمة د. عادل العوا/ دار كنعان، ودار الحصاد/ 26)، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهؤلاء الأماجِد، فكيف بمن ليسوا أنبياء ولا مُرسَلين؟ أليسوا بحاجة أشد إلى طلب العون

من الله واستهدائه الطريق المستقيم في كل خطوة؟ إنني بطبيعة الحال لا أصدِّق أن السيد المسيح قال شيئًا من هذا، بيْد أني أحاكم القول إلى كتابهم حتى أبيِّن لهم ولكل مَن كان عنده عين للقراءة أنهم يهرِفون بما لا يعرفون!

- أما إشارة الأنبا المضحِكة إلى مسألة زينب بنت عمة الرسول - عليها رضوان الله - وقوله: إنه - عليه الصلاة والسلام - "هامَ بامرأة زيد مولاه سابقًا لَمَّا نظَر إليها، وأخذها منه كرهًا، وزعم أنَّ الله قد أزوَجه بها دون زيد، وخاطَب بها صحابته قائلاً: "ولما قضى زيد منها وطرًا أزوجناك بها يا محمد"، وزعَم أن هذا وحي من الله أُنزل عليه في امرأة زيد، ولما خاطَب بذلك صحابته، قالوا: خذ يا رسول الله ما أنعم به عليك وحلَّله لك وحرَّمه على غيرك"، فملخص القصة (بعيدًا عن كذِب الأنبا المزعوم وجهْله بالآيات القرآنية، أو تحريفها بالأحرى كما فعَل قومه مع كتابهم المقدس من قبل أنه - عليه السلام - كان قد خطَبها لزيدٍ عبْده السابق ومتبنَّاه اللاحق رُغم كراهيتها هي وأخيها لذلك؛ إذ كانت من ذؤابة قريش وبنت عمة الرسول، أما زيد فمجرد عبد عتيق لابن خالها محمد، ومع هذا فقد التزمتْ بما نزَل في القرآن من وجوب الانصياع لمِثل هذا القرار وتزوَّجتْه، إلا أن الأيام لم تفلِح في تلطيف مشاعرها تُجاه زوجها، وظلَّت الأمور بينهما متوتِّرة، وفي يوم من الأيام فكَّر زيد في تطليقها كي يضع حدًّا لهذا التوتر، وفاتَحَ الرسول بهذا، لكنه - عليه السلام - راجَعه وطلَب منه الصبر، وفي النهاية طلَّقها زيد وتزوَّجها الرسول - عليه السلام - حين نزل القرآن بذلك؛ كي يعرف الناس أن التبنِّي لا يُعطي للابن غير الحقيقي في مسائل الزواج أو النَّسب وضْعَ الابن الحقيقي أبدًا، وكان زيد - رضي الله عنه - هو الذي خطَبها بدوره لرسول الله، وهو ما يدلُّ على أنه لم يكن في الأمر ما يُثير شكوكه أو حنَقه، هذه هي المسألة باختصار، فلمَ الطنطنة والتشهير؟ هل طمِع فيها الرسول وتآمَر على تطليقها من زوجها؟ أبدًا، فقد رأيناه يراجِعه ويأمره بالصبر، هل انتهَز فرصة غيابه عن البيت ودخل على زوجته ليستمتِع ولو بتبادُل الحديث معها والتغزُّل في محاسنها، ولا نقول: الزنا بها؟ أبدًا، فإن الروايات تنصُّ على أنه حين ذهب يطلُب زيدًا في أمر من الأمور ولم يجده انصرَف في الحال، ولم يتلبَّث، إذًا فما المشكلة؟ سنفترض أنه - عليه السلام - قد تعلَّق بها بعد أن كان هو الذي ضغَط عليها كي تتزوَّج زيدًا، فما وجْه العيب



في هذا؟ هل يملِك البشر عواطفهم في أيديهم؟ ومع ذلك فلا بد أن يعرف القارئ أن زينب كانت تحت بصر الرسول وتصرُّفه طوال الوقت قبل أن يزوّجها زيدًا على كُرهٍ منها ومن أخيها، أفلمَّا تزوَّجها عبْده السابق، وهو (فوق عبوديته له) من قبيلةٍ لا تُسامِت قبيلتَه هو وزينب، تَحلُو في عينَيه إلى الحد الذي يريد الأفاكون أن يجعلوا من حبَّتها قبة؟

- المهم أنه لم يلجأ إلى أي شيء يمكن أن يؤخذ عليه في هذا السياق: فلا هو ألح لزيد برغبته في امرأته حتى يدفعه من طرف خفي إلى التنازل له عنها، فضلاً عن أن يُكرهه على طلاقها، ولا هو حاوَل إبعاده عن البيت كي يخلو بها متى أحبَّ، ولا هو تآمر على قتْله كما صنع داود (داود النبي والملك) مع قائده وجاره أوريا الحثي الذي رأى زوجته عارية كما ولدتها أمها وهي تستحِم في فناء بيت قائده المجاور لقصره حين كان يتمشَّى على سطح القصر ذات يوم، ولا أدري ماذا كان يفعل ملِك مثله على سطح القصر إلا أن تكون هناك بقايا طفولة لم تزَلْ فيه فصعد ليُطيِّر طائرته الورقية مثلاً (داود "ابن الله البكر" كما جاء في العهد القديم، وجد إله الأنبا الأحمق أو أبوه - كما يقولون - إذ المسيح عندهم هو "ابن داود"، والمصيبة أنه ابنه من جِهة يوسف لا من جهة مريم، فتأمَّل اتِّهامهم مريم في شرفِها وعفَّتها بغباءٍ ما بعده غباء!)، فما كان منه إلا أن أرسَل فأحضرها وزنى بها (هكذا خبط لزق "دون إحم أو دستور"!)، ثم لم يكتفِ بهذا، بل وضع خطة للتخلص بها من الزوج المسكين، ولما تمَّت الجريمة استلحقَها بحريمه، ولكن بعد أن انقضت أيام مناحتها - شوفوا ذوقه وحنِّية قلبه ومراعاته للتقاليد!

- أما الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - فرغم أن مسألته زواجٌ حلالٌ لا زنا كما في حالة داود حسبما يفتري عليه ملفِّقو العهد القديم عليهم لعائن الله، فقد مكث فترة من الزمن يحاول أن يتجنَّب التزوج من زينب خَشية أن يظن الناس أنه اقترانُ أبٍ بامرأة ابنه كما كانت العرب حتى ذلك الحين تعتقد، إلى أن نزَل القرآن يعاتِبه ويشتدَّ عليه - صلى الله عليه وسلم - ويأمره أمرًا بإمضاء هذا الزواج حتى يضع حدًّا لذلك الفَهْم الجاهلي، ثم إنه - عليه السلام - لم يكن يوسِّع في نفقة زينب ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وحين طلبنَ منه ذات مرة أن يوفِّر لهن شيئًا من بحبوحة العيش كسائر النساء نزل القرآن يخيِّرهن جميعًا بين الرضا بما هن فيه أو تسريحِ الرسول -



عليه الصلاة والسلام - لمن لا ترضى بهذا الوضع المتقشِّف منهن، إلا أنهن جميعًا قد اخترنَ الله ورسوله والدار الآخرة على حظوظ الدنيا، وليس هذا بطبيعة الحال سلوكَ مَن تأسِره النساء ويتسلَّطنَ على عقله وحكمته ويُفسِدن عليه أمره، بل سلوك نبي كريم يملِك نفسه تمامًا أمام المرأة إن كان ثمن ذلك هو الخروج على مبادئه التي يدعو إليها أدنى خروج! ثم لا ينبغي هنا أن ننسى شيئًا، وهو أن زيدًا لو شعر أن في الأمر ما يُريب، أكان يظلُّ على ولائه لمحمد ودين محمد ويخرج للغزو معرِّضًا حياته بحرارة في سبيل الدفاع عن ذلك الدِّين ولا يهرب مثلاً إلى الروم أو فارس ويفضحه هناك؟ وذلك بدلاً من أن يموت في معركة مؤتة ميتته البطولية التي تدلُّ على إيمان لا يتزعزع، إذ كانت كل عوامل النصر من فارق ضخم في العدد والعتاد في صفِّ الروم، فضلاً عن انحياز أرض المعركة لأهلها، ومع ذلك خاضها - رضي الله عنه - هو وبقية زملائه في رجولة وإخلاص لا يُبارَيان! ويمكن القارئ أن يرجع إلى ما كتبتُه في هذا الأمر في الفصل الأول من الباب الأول من كتابي: "مصدر القرآن - دراسة لشبهات المستشرقين والمبشِّرين حول الوحي المحمدي"؛ (مكتبة زهراء الشرق/ 1417هـ - 1997م/ 71 فما بعدها).

والعجيب بعد هذا كله أن يقول النصارى: إن الله قد غفَر لداود وغيره من أنبياء العهد القديم جرائمهم ذات العيار الثقيل؛ لأنهم في نهاية المطاف بشرٌ، والبشر خطَّاؤون، ثم يجيئون إلى الحلال الزُّلال الذي فعَله النبي محمد - عليه السلام - فتضيق صدورهم الحقود غَيرةً على الشرف الرفيع، ويذهبون فيَلطمون الخدود، ويشقُّون الجيوب، ويضعون على رؤوسهم مما تحت أرجلهم، ويدعون بدعوى الجاهلية زاعمين التأ لُّم للأخلاق والدين! يا حرام!

- قال المسلم: ويحك! إنما ننكِر عليكم أنكم تجعلون لله ابنًا، وأن المسيح ابن الله، وأنه الأزلي خالق الخلائق، وتجعلونه مساويًا لله في الطبيعة والجوهر والقدرة، وهو إنسان وُلد من امرأة، ومثله مثل آدم، قال له الله: كن، فكان.

- قال الراهب: هل أنت يا أبا سلامة مصدِّق كل ما ذكَره نبيُّك في القرآن؟

- قال المسلم: نعم أنا مصدِّق جميع ما في القرآن؛ لأنه منزَّل من الله على نبيه المصطفى محمد.

- قال الراهب: أفليس في القرآن أن المسيح روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم؟



- قال المسلم: نعم، كذلك هو.

- قال الراهب: فإذًا لله روح وكلمة؟

- قال المسلم: نعم.

- قال الراهب: أخبرني عن روح الله وكلمته: أزلية هي أم مُحدَثة؟

- قال المسلم: بل أزليَّة غير مُحدثة.

- قال الراهب: فهل كان الله في وقت من الأوقات أصمَّ أخرس خاليًا من كلمة وروحٍ؟

- قال المسلم: أعوذ بالله من ذلك؛ حيث إن الله لم يخلُ قط من كلمته ورُوحه.

- قال الراهب: وكلمة الله خالِقة أم مخلوقة؟

- قال المسلم: ما أشكُّ في أنها خالِقة.

- قال الراهب: أفما تعبُد أنت الله؟

- قال المسلم: نعم.

- قال الراهب: فهل عبادتك لله مع كلمته ورُوحه أم لا؟

- قال المسلم: أعبُد الله وروحه وكلمته.

- قال الراهب: قل الآن: أومِن بالله وروحه وكلمته.

- قال المسلم: آمنتُ بالله وروحه وكلمته، ولكني لا أجعلهم ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

- قال الراهب: فهذا الرأي هو رأيي واعتقادي واعتقاد كل نصراني، وإلى هذا كان قصدي بأن أقودك إليه لتعرف الثالوث: الآب الذي هو الله، والابن الذي هو كلمته، ورُوحهما القدوس.

- وكان الأمير متَّكئًا فاستوى جالسًا ورفَع عن حاجبيه شربوشه، وصفَّق وكبَّر، وقال ضاحكًا: وحق علي يا أبا سلامة لقد نصَّرك الراهب وأدخَلك في دينه".

- ومرة أخرى نجد أنفسنا وجهًا لوجه مع الخُبث والتفاهة والتهافت؛ فالقرآن لا يقول عن عيسى - عليه السلام -: إنه روح الله، بل "روح منه"، وهو في هذا لا يتميَّز على أي إنسان كائنًا من كان؛ إذ ما من أحد من بني آدم جميعًا إلا وفيه من روح الله؛ قال - تعالى -: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ



نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ} [السجدة: 6 - 9]، فالله، كما تقول الآية الأخيرة، قد نفَخ في البشر من رُوحه - سبحانه - وهذا هو نفسه الوضع في حالة عيسى - عليه السلام - فهو إذًا كسائر البشر: كلاهما مخلوق، أمَّا إنه - عليه السلام - كلمة الله فالمقصود كلمة: "كن" فيكون، وهذا هو نفْسه الوضع في حالة آدم أيضًا: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59]، وطبعًا ليس المقصود أنه هو الكلمة ذاتها، بل العبارة هنا على المجاز؛ إذ ليس عيسى ولا أي مخلوق آخر غير عيسى هو الكلمة نفسها، بل ما أحدثتْه الكلمة في عالم الوجود، وذلك كما يقول الواحد منا لغيره: "أنا ذراعك اليُمنى"، ولا يمكن أن يقصِد أنه ذراعه فعلاً، بل المقصود أن بإمكانه الاعتمادَ عليه مثلما يعتمِد على ذراعه، ومثل ذلك ما قاله ابن منظور صاحب "لسان العرب" في مادة "يَمُنَ"، ونصه: "وفي الحديث: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، قال ابن الأثير: هذا كلام تمثيل وتخييل، وأصله أنَّ الملِك إذا صافح رجلاً قبَّل الرجل يده، فكان الحجر الأسود لله بمنزلة اليمين للملك حيث يُستلَم ويُلثم"، وعليه فلا تميُّز لعيسى في هذا، اللهم إلا أن ولادته قد اختلَفت عن ولادتنا: فنحن قد خُلقنا بكلمة بالتكوين، لكن من خلال القوانين الطبيعية للولادة، أما هو فخُلق بكلمة التكوين مباشرة دون الخضوع لتلك القوانين كاملة؛ إذ لم يكن له أب، وإن كانت له أم سكن أحشاءها وبقي فيها زمنًا، أما آدم فقد خُلق دون أب أو أم، ومن هنا فإن خلقه أعجب وأبعث على الدهشة، كل ما في الأمر أن أحدًا من البشر لم يكن هناك ليُدهَش أو يُعجب؛ لأننا ببساطة لم نكن قد خلقنا بعد، وإلا لعبَدَه الناس هو أيضًا، والحكاية ليست ناقصة مصيبة ثانية، وإن كان العهد القديم يقول عنه رغم ذلك: إنه ابن الله! ولقد زاد القرآنُ هذه القضية إيضاحًا وتأكيدًا في مواضع أخرى منه ولم يتركها غامضة؛ قال - جل شأنه -: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ



عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء:171 - 173]، {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: 72 - 77]، {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة:116 - 118]، {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ *مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [مريم: 34 - 35]... إلخ.

- فكيف يزعم الأنبا المخبول بعد ذلك أن القرآن يؤلِّه المسيح؟ أما قوله عن الأمير الأيوبي السنِّي: "وكان الأمير متَّكئًا فاستولى جالسًا ورفع عن حاجبيه شربوشه، وصفَّق وكبَّر، وقال ضاحكًا: "وحقِّ عليٍّ يا أبا سلامة لقد نصَّرك الراهب وأدخَلَك في دينه"، فلا أدري كيف يقسم سنِّي (سُنِّي حطَّم أبوه دولة الشيعة في مصر والشام) بحق عليٍّ، وهو يمين لا يُقسِم به سوى الشيعة، الذي بينهم وبينه هو أبيه وأسرته كلها حتى اليوم وإلى ما بعد اليوم إلى أن تقوم القيامة ما طَرَق الحداد، وبالمِثل لا أدري كيف يُبدي أمير مسلم في ذلك الوقت الذي كان للدِّين فيه سلطانُه الهائل على



القلوب، وبالذات أيام الحروب الصليبية التي كان للأيوبيين فيها القدح المعلَّى، شماتته على الملأ في دِينه ودِين أمته وانحيازه لجماعة من النصارى لا قيمة لهم عنده، ولا يُمثِّلون له أي اعتبار، خارجًا بذلك عن الملة!

- لقد كان ذلك الأمير قويَّ الإيمان حريصًا كل الحرص على أداء فروضه الدينية، فعلى سبيل المثال كان عزْمه قد صحَّ على أداء مناسك الحج في سنة كانت هناك مشاكل سياسية بينه هو وأخيه الأفضل وبين الكامل ابن عمهما، أرسَل الكامل من جرَّائها عسكرًا كثيرًا ينتظرونه قُبيل مكة ظنًّا منهم أنه ينوي الذهاب لليمن بُغية أخذها لا لأداء الفريضة، ولنستمع إلى النويري في "نهاية الأرب" يحكي لنا القصة كلها، ووجْه الشاهد فيها أنه كان قوي التديُّن: أولاً في خروجه للحج على ما فيه من مشقَّة يعرفها كل من خاض تجرِبته، وثانيًا في عرْضه على الخصوم أن يقيِّدوه، ويُحيطوا به حتى يقضي المناسك كي يَطمئنُّوا إلى أنه في أيديهم لا يريد اليمن بل الحج، وثالثًا في حرْصه على اتِّباع سنة النبي في غزوة الحديبية لما عجَز عن تأدية الشعيرة؛ إذ ذبَح أميرنا وقصَّر شعره وانصرَف قافلاً إلى الشام، ورفض الدخول في معارك وإراقة دماء مع جند ابن عمه: "وفيها (أي في السنة العاشرة بعد الخمسمائة من الهجرة) توجَّه الملك الظافر الخضر بن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب لقصْد الحج، فنزل بالقابون في يوم الأحد رابع شوال، ثم انتقل إلى مسجد القدم في خامس الشهر، وكان الملك المعظَّم بحوران، فوصل إلى دمشق، وأدخله إليها وعمِل له ضيافة، ثم توجَّه إلى الحجاز صحبة الركب الشامي، فلما وصل إلى المدينة زار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحرَم بالحج من ذي الحليفة، فلما انتهى إلى بدر وجد عسكر الملك الكامل قد سبَقه من مصر إلى بدر خوفًا منه أن يتوجَّه إلى اليمن ويستولي عليها، فقالوا له: ترجع! فعلِم مرادَهم، فقال: إنه قد بقيَ بيني وبين مكة مسافة يسيرة، وإني قد أحرَمت، ووالله ما قصدي اليمن، ولا أقصِد غير الحج، فقيِّدوني واحتاطوا بي حتى أقضي المناسك وأعود، فلم يوافِقوه على ذلك، وأعادوه إلى الشام، فصنع كما صنع النبي - صلى الله عليه وسلم - حين صدَّه المشركون عن البيت، قصَّر وذبَح ما تيسَّر، وعاد إلى الشام"، وكان بمستطاعه أن يَهُب لمحاربتهم كما قلنا أخذًا بما اقترَحه عليه قوَّاده وجنده الذين عزَّ عليهم أن يرجع على هذا النحو المهين دون أن يحج،



إلا أنه رفَض كما جاء في تاريخ الإسلام "للذهبي": "قال أبو شامة: وحكى لي والدي، وكان قد حجَّ معهم، قال: شقَّ على الناس ما جرى عليه، وأراد كثير منهم أن يقاتِلوا الذين صدوه عن الحج، فنهاهم وفعَل ما فعَل النبي - صلى الله عليه وسلم - حين صُدَّ عن البيت، فقصَّر من شعره، وذبح ما تيسر، ولبس ثيابه، ورجع وعيون الناس باكية، ولهم ضجيج لأجله"، فهل من يتصرَّف مثلاً على هذا النحو من الحب لدينه وتحمُّل المشاق من أجل تأدية مناسكه والحرص على اقتفاء سنة رسوله - عليه السلام - منذ أن خرج للحج حتى أُعيق عن إتمامه يمكن اتهامه بأنه يُمالئ النصرانية ضد الإسلام؟

- وذكر ابن العديم في كتابه: "بُغية الطلب في تاريخ حلب" أن الأمير المشمر كان عالِمًا محدِّثًا، "سمع منه بعض أصحابنا شيئًا يسيرًا، خرَّج عنه صاحبنا أبو عبدالله محمد بن يوسف البرزالي حديثًا في معجم شيوخه، وروى لنا عنه أبو المحامد إسماعيل بن حامد القوصي إنشادًا أخرجه عنه في معجم شيوخه، وكان يزور عمي أبا غانم، وكنتُ أجتمِع به عنده في المسجد المعروف بنا، فلم أتحقَّق ما سمعته منه، فإنه كان يورِد أشياء حسنة، وكان جوادًا سخيًّا شجاعًا عارفًا بالتواريخ وأيام الناس، كان من جِلَّة بني الملك الناصر يوسف بن أيوب وكان يُنبَز، أي: يُلقَّب بالملك المشمر، بحيث إنه غلَب على لقبه: الملك الظافر، وبلغني أنه إنما غلَب عليه هذا اللقب؛ لأن أباه قسَّم البلاد على أكابر إخوته، قال: أنا مشمر، فغلب عليه المشمر، وهجر ما سواه"، وفي "الأعلاق الخطيرة في ذكْر أمراء الشام والجزيرة" لابن شداد أنه بنى في أرباض حلب مسجدًا، أفمِثل هذا الأمير يمكن أن يوالس مع النصارى ضد الإسلام ونبيه، فضلاً عن أن يفعل ذلك على مرأى ومسمع من عسكره ورجال حاشيته وضيوفه والناس جميعًا؟ وأخيرًا وليس آخرًا ها هو ذا الراوي الكذاب الذي لا يحسِن تلفيق حدوتته الساذجة يقول: إن الأنبا حين سأل الأمير السؤال التالي: "إنْ قدِم أحد الناس وأظهر قرآنًا يخالِف القرآن المعروف الآن عندكم وقال لكم: هذا القرآن المنزَّل على النبي، وليس هو ذاك، فهل كنتم تقبَلونه؟" جاء ردُّ الأمير صاعقًا على الفور هكذا: "لا وعليٍّ، ما كنا نقبله بل نحرِقه ومن أتى به"، فهل من يكون ردَّ فعْله بهذا العنف على دعوى وجود قرآن غير القرآن يمكن أن يَشمت بالإسلام وعلمائه الذين ينافحون عنه، ويشجِّع المثلِّثين على



تثليثهم ويُسِرَّ لهم بأنه معهم بقلْبه لأن أمه نصرانية مثلهم؟ كما أنطَقه الراوي، حين أراد أن يوهِمنا باتِّخاذه صفَّ الأنبا، بصيحة "الله أكبر" وهي صيحة إسلامية خالصة لا يقولها الأمير لو كان في قلبه موالاة للنصارى، يا للكذب! يا للعار! أرأيت أيها القارئ كيف يقع هؤلاء الحمقى في شر أعمالهم؟

- على أن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد؛ إذ طفِق الراهب المزعوم يحاول تفنيد ما نفهمه نحن المسلمين، ويفهمه معنا كل من لديه أدنى قدْر من العقل، من نص "سورة آل عمران" الذي مرَّ آنفًا في التسوية بين آدم والمسيح، ولِمَ لا يأخذ الراهب راحته، والملعب ملعبه، والحكَم من طرفه، والخَصم غير موجود؟ بل إن المسألة كلها ليست أكثر من حدوتة خيالية لم تقع إلا في وهْم كاتبها؟ "قال الراهب: وأما قولك يا أبا سلامة أن نبيك قال: "وما مَثل عيسى ابن مريم إلا مَثل آدم قال له: كن، فكان (سورة آل عمران)، فقد صدَق نبيك في قوله؛ لأن كلمة الله ورُوحه الخالقة الأزلية غير المحدودة وغير المدرِكة اتَّخذت لها من طبيعة آدم جسمًا من مريم وسكَن فيه واحتجَب به لاهوت الكلمة لأجل السياسة والتدبير؛ لأن الجوهر اللطيف لا يظهر إلا في جسم، وخذ المثلَ من جوهر النار، فإنه جوهر لطيف لا يُنظر ولا يُرى إلا في مادة من المواد، ثم اعلم أن موسى النبي طلَب من الله - تعالى - أن يبصِر الله بجوهر اللاهوت، فقال له الله: ادخل في باطن الصخرة، وأنا أضع يدي في ثقب الصخرة، وأنت تبصِر ما ورائي، فلما كان منه ذلك أبصَر موسى ما كان وراء الجوهر الإلهي، فلمَع في وجه موسى نورٌ لا يُستطاع النظر إليه حتى ما كان أحد من الشعب ينظُر إلى وجه موسى إلا مات، فاحتاج إلى برقع كان يضعه على وجهه حين كان يخاطِب الشعب لئلا يموت كل من ينظر إلى وجه موسى من الشعب.

- قال المسلم: إذا كان اعتقادك أن روح الله وكلمته حلاًّ في بطن مريم فقد بقي الله بغير رُوح ولا كلمة بعد حلولها في بطن مريم.

- قال الراهب: توهُّمك هذا يا أبا سلامة يَليق بصبيان المكاتب وأهل القرى والمضارب؛ لأنك تُقايس الإله الجوهر اللطيف الذي لا يُحدُّ ولا يردُّ، ولا يحصُره مكان ولا يحويه زمان، وهو غير المتنقِّل، وتتخيَّله محصورًا ومتنقِّلاً، أبعِدْ هذا الوهم من ظنك، وهذا الرأي من رأيك، ولا تتخيَّل

روح الله وكلمته محصورة ومتنقِّلة.

- قال المسلم: فكيف يمكنني أن أحقِّق أن كلمة الله وروحه بجملتِها في بطن مريم، وهي بجملتها على العرش عند الله ولا يخلو منه، ولا يُفارِقه على حسب رأيك؟

- قال الراهب: توهُّمك هذا يُناسِب عيشتك الغليظة الرخية ومذهبك وناموسك وشريعتك؛ لأنكم تتصوَّرون وتنسبون الأشياء المعقولة كالأشياء المحسوسة بحسب عقولكم المكدَّرة من رخاوة العيشة واستعمال اللذات الجسدية، ولكني لا أكسَل عن أن أوضِّح لك البيان عما سألتَ، وآتيك بمثالات توضِّح الصدق، فما قولك في الشمس؟ أليس هي في أُفق السماء؟

- قال المسلم: نعم.

- قال الراهب: أفليس تبعثُ شعاعها وحرارتها ونورها على الأرض كلها؟

- قال المسلم: نعم.

- قال الراهب: فهل نورها وحرارتها حين تَبعثهما إلى الأرض يُفارِقها أم لا؟

- قال المسلم: لا يُفارِقها، ولا يخلو منها.

- قال الراهب: كذلك كلمة الله ورُوحه حلَّت في مريم ولم تخلُ من الله الآب، نأتيك بمثال آخر فنقول: إن مولانا الأمير إذا تكلَّم كلمة برزت من عقله ومِن فِيه، وصارت الكلمة في كتاب من الرَّقِّ والمِداد، وحصلت في جسم، ثم نُودي بها في العالم وصارت مسموعة عند الكل، فهل كلمة الأمير فارقت عقله وبقي فيما بعد بغير كلمة؟! أفليس الكلمة بجملتها في عقل الأمير، وهي بجملتها في الكتاب والقرطاس والمداد؟

- قال المسلم: نعم".

- والمجادلة كلها سفسطة في سفسطة؛ فالله - سبحانه - مطلَق لا يحدُّه حدٌّ، فكيف يحل في بطن مريم ويبقى هناك طوال شهور الحمل، ثم حين يولَد يظل في الأرض محصورًا في ذلك الحيِّز المادي المتغيِّر من لحظة لأخرى، وهو جسد عيسى الرضيع فالطفل فالصبي فالمراهق فالشاب فالرجل، ويعتريه ما يعتري أجسادَنا جميعًا من انحلال أنسجة وتكوُّن غيرها، وموت خلايا وحلول سواها محلَّها، فضلاً عن الألم والضعف والصداع والحاجة إلى الطعام والشراب والرغبة في الدخول إلى



الخلاء والحركة والانتقال من مكان إلى مكان وتلقِّي الشتم والتكذيب... إلى آخر مظاهر المعاناة التي تحتِّمها مطالب العيش والتفاهم مع الآخرين، إلى حين القبض عليه كما يُقبض على أحقر مجرِمٍ وتعرُّضه للضرب والطعن والإهانة والسخرية والصلب والقتل، وهو يَجأرُ في جَنَبات الفضاء نُشدانًا لعون لا يأتيه أبدًا: "إلهي إلهي، لم تركتني؟"، مقرًّا على نفسه رغم كل سفسطات الأنبا الكذاب وأشباهه أنه ليس إلا "عبدًا" ضعيفًا يتَّجه إلى "إلهه" يرجوه المساعدة؟ ولقد صدق المسلم حين علَّق على هذه السفسطة الرقيعة قائلاً: "إذا كان اعتقادك أن روح الله وكلمته حالاًّ في بطن مريم فقد بقي الله بغير روح ولا كلمة بعد حلولها في بطن مريم"، ذلك أنه متى ما جعلنا لله وجودًا متحيِّزًا بحيز المكان والزمان فلا بد أن يجري عليه - من ثَمَّ - كلُّ ما يجري على الوجود المتحيِّز من الانحصار دائمًا في مكان دون سائر الأمكنة، وفي زمان دون باقي الأزمان، وعلى هذا فإذا كان الله في بطن مريم أو في البيت أو على الصليب فلا وجود له حينئذٍ في غير البطن أو البيت أو الصليب، إن المسلمين حين يقولون هذا فإنما يقولون ما يقضي به العقل والمنطق، وما سوى ذلك هو مجرد سفسطة رقيعة كما قلنا مرارًا، ثم إن عالِمًا مسلمًا، فضلاً عن أن يكون هذا العالم من أئمة المسلمين، لا يمكن إذا أراد الردَّ بالإيجاب على سؤال منفي أن يقول: "نعم" كما ادَّعى كاتب الحدوتة على الشيخ، بل عليه أن يستعمل كلمة "بلى"، فهذه علامة أخرى من العلامات المخزية التي تفضح كاتب الحدوتة وتهتِك ستار كذِبه وزيْفه!

- والغريب أن الراهب الكذاب يأبى إلا أن يَحور إلى طبيعته المدلِّسة الكذابة فيتَّهم المسلم بأنه هو الذي يقول بتحيُّز الله! انظروا إلى مدى الالتواء في تفكير هذا الكائن وسلوكه: "توهُّمك هذا يا أبا سلامة يَليق بصبيان المكاتب وأهل القرى والمضارب؛ لأنك تُقايس الإله الجوهر اللطيف الذي لا يُحدُّ ولا يُردُّ، ولا يحصُره مكان ولا يحويه زمان، وهو غير المتنقِّل، وتخيُّله محصورًا ومتنقِّلاً، وإلا فإذا كان جوهرًا لطيفًا لا يُحد، فكيف يريد الأنبا الرقيع حصره في بطن مريم وغيره من الأماكن التي كان يحلُّ فيها عيسى - عليه السلام - أو يتنقل بينها؟ وهو يتطاوَل على المسلمين، قائلاً: إنهم حِسِّيون مُتبلِّدو المشاعر والفَهْم لانشغالهم باللذائذ المادية، وكأنه هو وأمثاله يعيشون على نور الشمس ونسمات الهواء فلا يأكلون ولا يشربون ولا يلبَسون ولا ينامون؟



- أما قول الراهب: إن "كلمة الله وروحه الخالقة الأزلية غير المحدودة وغير المدرَكة اتَّخذت لها من طبيعة آدم جسمًا من مريم وسكَن فيه واحتجَب به لاهوت الكلمة لأجل السياسة والتدبير؛ لأن الجوهر اللطيف لا يظهر إلا في جسم"، فليس له من معنى سوى أنه - سبحانه - لم يكن يدبِّر أو يَسوس قبل زمن عيسى ولا بعد انتقاله عن دُنيانا، ألم يقل: إن الجوهر الإلهي اللطيف إنما سكَن جسد عيسى كي يتمَّ التدبير والسياسة؟ إذًا فنحن الآن بلا سياسة ولا تدبير إلهيَّين! ولا يكتفي الأحمق بما مضى، بل يأبى إلا أن يسقُط سقطة قاتلة أخرى حين يقول: "ولما كنا ذوي أجسام وجَب عند حكمته أن يخاطِبنا بجسم؛ لأن اللاهوت عادم الجسم، كما إن جوهر النار لا يعلَن ولا ينتفع الناس منه إن لم يظهر في مادة من المواد"، وسؤالنا هنا هو: وكيف كان الله يخاطِب البشر منذ بَدء الخليقة؟ ألم يكن يرسِل لهم أنبياء ورسلاً، أم كان يتجسَّد بنفسه في هؤلاء الأنبياء والرسل؟ إنْ قال بالأولى فعيسى مجرد نبي ورسول مِثل سائر الأنبياء والمرسلين، وإنْ قال بالثانية فجميع الأنبياء والرسل إذًا آلهة أو أبناء آلهة، وفي الحالتين لا فرْق بين عيسى وسواه!

- ولا يكتفي الأنبا المزيَّف بهذا، بل يلجأ إلى مثال النار التالي ليقنع المسلم بسُخْف ما يقول: "فما قولك في الشمس؟ أليس هي في أُفق السماء؟

- قال المسلم: نعم.

- قال الراهب: أفليس تبعث شعاعها وحرارتها ونورها على الأرض كلها؟

- قال المسلم: نعم.

- قال الراهب: فهل نورُها وحرارتها يفارِقها حين تبعثهما إلى الأرض أم لا؟

- قال المسلم: لا يُفارقها ولا يخلو منها.

- قال الراهب: كذلك كلمة الله ورُوحه حلَّت في مريم ولم تخلُ من الله الآب".

- وهذا المثال مما يجري على ألسنة النصارى للتدليل على صحة تثليثهم، مع أن هناك فارقًا جِذريًّا بين النار وبين الله؛ فالنار كِيان مادي، أي مركب من عناصر متعدِّدة كانت متفرِّقة قبل ذلك ثم تجمَّعت وأصبحت نارًا، وسوف تتفرَّق بعد ذلك كرَّةً أخرى، وهكذا دواليك، فهل الله هكذا؟ وهل الله كالنار متحيِّز في مكان وزمان معيَّنين؟ ثم إن النار باستمرار صدور أشعتها منها تفنى،



وبعد قليل لا تعود هناك نار، بل إن الشمس وسائر النجوم، وهي كُرَات نارية هائلة الحجم إلى درجة رهيبة، لها عمرٌ مقدَّر سوف تبلُغ تمامه يومًا ولا تعود ثمة شمس ولا نجوم، كذلك فإن أشعة النار والشمس ليست هي النار أو الشمس كلها، بل جزءًا منها فقط، وهو عندما يغادِرها لا يعود جزءًا منها بل ينفصِل عنها، فما علاقة ذلك برُوح الله التي تُفارقه ولا تفارقه؟ ثم إن حرارة الشمس تضعُف كلما ابتعدنا عنها، فهل روح الله تضعُف على هذا النحو أيضًا؟ كما أن وصول الأشعة والنور من الشمس إلينا يستغرِق وقتًا، فهل يجوز أن نقول ذلك عن روح الله؟ كذلك فإن أشعة الشمس ونورها لا يصِلان إلى كل مكان، فهل نقول عن روح الله ما نقوله عنهما، ونفسِّر في ضوء ذلك أن عيسى ابن مريم - عليه السلام - كان، في الوقت الذي يوجد فيه في مكان معين، يكون غائبًا عن بقية الأماكن؟ يمينًا بالله إن هؤلاء الحمقى أغبياء!

- ومرة أخرى يسقُط المنافق المدلِّس سقطة قاتِلة، إذ يتحذلَق قائلاً: "ونأتيك بمثال آخر فنقول: إن مولانا الأمير إذا تكلَّم كلمة برزت من عقله ومن فِيهِ وصارت الكلمة في كتاب من الرَّقِّ والمداد وحصَلت في جسم ثم نُودي بها في العالم وصارت مسموعة عند الكل، فهل كلمة الأمير فارقت عقله وبقي فيما بعْد بغير كلمة؟ أفليس الكلمة بجملتها في عقل الأمير، وهي بجملتها في الكتاب والقرطاس والمداد؟"، ومرة أخرى نجده يلجأ إلى أسلوب التفكير العامي الذي لا يصلُح في مخاطبة العقل والمنطق؛ فالكلام المقيَّد في الكراس ليس هو الفكرة التي في عقل الأمير، بل هو مجرد رمْز لها وصورة منها، والصورة غير الأصل كما هو معروف، ولا شك أن لكل من الأصل والصورة كِيانه ووجوده المستقل، فالفِكرة في عقل الأمير مثلاً لا تبقى كما هي بل تتطوَّر، أما في الكراس فستبقى كما هي برمزها الأول لا يعتريها تطوُّر، كما أن فكرة الأمير حين تنتقِل إلى عقل شخص آخر تمتزِج به وتصبح عنصرًا من عناصر فِكْره، فهل نقول هذا عن الله وروح الله؟ وبالمِثل إذا أراد الأمير أن يستعيد فكرته كما انبَثَقت في ذهنه لأول مرة بالضبط فلن يستطيع ذلك أبدًا، بخلاف رمزها الكتابي في الكراس، كما أن الأمير عندما يموت تنتهي معه الفكرة التي كانت في ذهنه، على حين يبقى رمزها الكتابي الذي في الكرَّاس، أو قد يحترق الكراس وتبقى الفكرة الذهنية في رأس صاحبها، ولكن بعد اعتراء التطوُّر لها حسبما وضَّحنا، أو قد يموت الأمير ويحترِق الكراس جميعًا:



إما في نفس الوقت، أو في وقتين مختلفين، مع تقدُّم هذا على ذاك، أو ذاك على هذا، ثم قبل ذلك كله ينبغي ألا يفوتنا ما قلناه عند حديثنا عن النار، وهو أن الفكرة التي في ذهن الأمير (بل كل الأفكار التي في ذهن الأمير والخفير والشريف والحقير) لم تكن هناك من قبل ثم كانت وهي تَدين في وجودها لما قرأه الأمير أو الحقير أو سمعه أو شَعر به أو فكَّر فيه من قبل، فهل روح الله هكذا؟

- ولا يتوقَّف الراهب الضلالي عن الكذب، وهذا أمر طبيعي؛ إذ قد أصبح الكذب يجري في دمه هو وأمثاله بحيث إذا توقَّف عنه مات كما يقع للسمكة إذا بقيت خارج الماء، ومن هنا نجده يكذِب على القرآن والإسلام زاعمًا أنه يشهد لكتابهم وعقيدتهم بالصدق، ونسي الكذاب القراري أنه لو صحَّ ذلك فلماذا يشتمُ هو ومن على شاكلته المسلمين، ويُهاجِم الرسول؟ ولنقرأ ما قاله ذلك المأفون: "قال المسلم: ومَن الشاهدُ لك بصحة دينك؟

- قال الراهب: أنت ونبيك وكتابك.

- قال المسلم: فما بيان ذلك؟

- قال الراهب: أليس يقول كتابك في سورة "آل عمران": إن من أهل الكتاب أمَّة قائمة يتلون آيات الله في الليل والنهار ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر، أولئك هم الصالحون بأعمالهم، ونورُهم يعلو كل نور"؟ ويقول أيضًا فيها: "إنا أنزلنا القرآن نورًا وهدى مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل"، ويقول: "آمنا بالذي أنزل عليكم وعلينا، وإلهنا وإلهكم إله واحد" [سورة العنكبوت]، ويقول: "لتجدنَّ أقرب الناس إلينا مودة الذين قالوا إننا نصارى، وذلك أن فيهم قسيسين ورهبانًا، وإنهم لا يستكبرون، وهم أُمة من الصالحين يتلون آيات الله ويَهدون بالحق" [سورة آل عمران]، ويقول في سورة آل عمران: "المسيح كلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم"، ويقول أيضًا: "يا عيسى ابن مريم، إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين آمنوا بك فوق الذين كفروا بك، وأنت ديَّان العالمين" (سورة آل عمران)، أليس نبيك وكتابك يشهَدان لنا بهذه الشهادات وأكثر منها، وأن المسيح له في السماء الفضل على سائر الأنبياء، وأنت تتَّقح ولا تصدِّق نبيك وكتابك؟ أفما تعلم أنك إذا لم تصدِّق الإنجيل فقد كذَّبت نبيك وكتابك فما تكون فيما بعد لا مسلمًا ولا نصرانيًّا؟



- قال المسلم: أنا مصدِّق القرآن؛ لأنه منزَّل من السماء، وأصدِّق جميع ما كُتب فيه عن عيسى.

- قال الراهب: لو صدَّقت القرآن لصدَّقت الإنجيل".

- والحق أنه لو لم يكن في الحدوتة البَلهاء التي بين أيدينا سوى هذه الأخطاء في تلاوة الآيات القرآنية وفي نِسبتها إلى غير سورها لكان هذا كافيًا وفوق الكافي في الإيقان بأن هذا الكلام كله مزيَّف مصنوع، وأنه لم تكن هناك مجادَلة بين الأنبا المدلِّس وأولئك الشيوخ الخياليِّين؛ إذ ليس من المعقول أن يسمَع عالم مسلم أخطاء فاحشة مثل هذه في تلاوة القرآن وفي نِسبة الآيات إلى غير سورها ويسكت، فضلاً عن أن يوافِق المخطئ ويعلِن موافقته له إعلانًا، كما أن ملوك بني أيوب وأمراءهم كانوا أصحاب ثقافة أدبية ودينية رفيعة، بل كان منهم الأدباء والعلماء - كما قلنا - ومن ثَمَّ فليس من المعقول أبدًا أن يُخطئ المأفون كل هذه الأخطاء دون أن يصكه الأمير الأيوبي في فمه بالنعل التي في قدمه، بله أن يُرافئه على سخريته بالشيوخ المسلمين ودينهم، ومن يفتح المصحف ويقارِن بين ما قاله الأنبا وما يقوله المصحف لأدرَك مقدار تحريف العِلْج الوقِح للآيات القرآنية الكريمة التي استشهَد بها، وعبث بمعناها ليصل منها إلى تقويل القرآن ما ليس فيه بُغية إيهام القراء أن الكتاب العزيز يشهَد للنصرانية الحالية وأناجيلها بالصحة والاستقامة، وهيهات، وهذا صنيع المبطِلين المنافقين، لا صنيع الذين يحرِصون على إصابة الحق والتزامه، وهو ما يدلُّ على أنهم يعرفون من أنفسهم الضَّلال والانحراف، ولكنهم يكذبون!

- والآن سوف نقوم بالمقابلة بين ما أورده المدلِّس من آيات محرَّفة وبين هذه الآيات نفسها كما وردت في القرآن، فهو يقول مثلا: "المسيح كلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم"، يريد بذلك أن يمرِّر عقيدته الوثنيَّة في أن المسيح هو الله نفسه أو ابنه، وصوابها في سياقها الكامل هو: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: 171 - 173]، ففي القرآن أنه المسيح عيسى ابن مريم، وأنه كلمة الله وروح منه، وعند الأنبا المفضوح هو "المسيح كلمة الله ورُوحه" بحذف بنوَّته لمريم وجعله "روح الله" نفسه لا روحًا من الله، وهو فرق رهيب.

- وفي آية أخرى نراه يقول: "إنا أنزلنا القرآن نورًا وهدى مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل"، على حين أنها في الأصل: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} [آل عمران:3 - 4]، ومن نفس السورة نراه يورِد الآية رقم 114 على النحو التالي: "من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله في الليل والنهار ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمُرون بالمعروف وينهَون عن المنكر، أولئك هم الصالحون بأعمالهم، ونورهم يعلو كل نور"، مضيفًا إليها ما ليس منها، وحاذفًا منها ما هو أصيل فيها، وهذا نصُّها الصحيح: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 113 - 115]، وهي ليست في النصارى كما يريد اللئيم أن يلْوِي عنقَها، بل فيمن أسلَم من أهل الكتاب، ولم يبقوا على دينهم، فآيات الله هنا هي آيات القرآن الكريم، والسجود هو سجود المسلمين؛ إذ لا يصف القرآن بالإيمان بالله واليوم الآخر أبدًا بعد مجيء النبي محمد بدعوته إلا من آمن به وصدَّق بالقرآن كما توضِّح آيات من سورة "النساء"، والآية 92 من سورة "الأنعام"، والآيات 156 - 158 من سورة "الأعراف" وغيرها.

- وبالمِثل، فالذين قالوا إنا نصارى في الآية التالية ليسوا هم النصارى بوجه عام، بل فريقٌ بعينِه منهم جاء إلى المدينة لِلقاءِ الرسول - عليه السلام - وقد فتح قلبه وعقله لدعوة الحق، فلما سمعوا القرآن منه - صلى الله عليه وسلم - بكَوا وخشعوا وسارَعوا إلى الدخول في الدين الجديد كما هو جليٌّ بيِّن لمن في عقله أدنى مقدار من الفَهْم: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ



وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة: 82 - 86]، أما هو فقد أورَدها على النحو التالي، وقصْده أن يقول: إن القرآن يُثني على النصارى المثلِّثين: "لتجدن أقرب الناس إلينا مودة الذين قالوا إننا نصارى، وذلك أن فيهم قسيسين ورهبانًا، وإنهم لا يستكبرون، وهم أمة من الصالحين يتلون آيات الله ويَهدون بالحق"، وبالمناسبة فقد قال: إن هذه الآية هي من آيات سورة "آل عمران"، على حين أنها من "المائدة"، أما الآية التالية فالهدف الخبيث الذي يتوخَّاه الكذاب واضِح لا يحتاج إلى شرح، فهو يقول في الآية رقم 55 من سورة "آل عمران" "يا عيسى ابن مريم إني متوفِّيك ورافعك إليَّ ومطهِّرك من الذين كفروا وجاعل الذين آمنوا بك فوق الذين كفروا بك، وأنت ديَّان العالمين"، في حين أنها في الحقيقة تجري على النحو التالي: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 55 - 64]، والفرق بين القراءتين هو الفرق بين الكفر والإيمان؛ فالمسيح في الآية الصحيحة لا يعدو أن يكون عبدًا لله لا يملِك من الأمر شيئًا، أما في الآية المحرَّفة



فهو "ديَّان العالمين"، والدينونة هي من صلاحيات الله - سبحانه - وحدَه لا يُشارِكه فيها أحد، وأخيرًا فقوله - تعالى - في آخر الآية التالية من سورة "العنكبوت": {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46]، معناه أنه ليس هناك إله إلا الله، فلا المسيح إله، ولا روح القدس إله، ومن ثَمَّ فلا أقانيم ولا تثليث، على عكس ما يريد كاتب الحدوتة أن يوقِع في رُوع القراء من أن القرآن يشهد بأن الإله ذا الأقانيم الثلاثة الذي يؤمن به النصارى هو الإلهُ الذي ينبغي أن يؤمن به المسلمون أيضًا، وشتان هذا وذاك!

- إلهنا الذي نؤمن نحن المسلمين به ولا نعرف إلهًا غيره واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، إلهنا لم يتجسَّد ولم يُصلب ولم يُقتل ولم يُدفن، ولا يأكل أو يشرب، ولم تكن له صاحبة أو ولد، وخلَق كل شيء فقدَّره تقديرًا، ومع هذا فكل إنسان وما يعتقِد، والمهم ألا يتجاوز أحد حدوده، ويتواقَح على ديننا، ويشتم ربنا ونبيَّنا ويدَّعِي الكذب، ويؤلِّف الحكايات المسيئة المتخلِّفة، فإن فعَل فليس أمامنا إلا الرد بحزم، أما قول الأنبا المزعوم: "أليس نبيُّك وكتابك يشهدان لنا بهذه الشهادات وأكثر منها وأن المسيح له في السماء الفضل على سائر الأنبياء وأنت تتَّقح ولا تصدِّق نبيَّك وكتابك؟ أفما تعلم أنك إذا لم تصدِّق الإنجيل فقد كذَّبت نبيك وكتابك فما تكون فيما بعد لا مسلمًا ولا نصرانيًّا؟" فجوابه هو أننا نؤمن بعيسى بن مريم عبدًا لله ونبيًّا من أنبيائه كما ورد في القرآن، ولا نزيد عن ذلك شعرة؛ لأن ما يقوله الأنبا لا وجود له في القرآن، بل في الآيات التي حرَّفها على عادة قومه في العبث بالنصوص السماوية، أما أن يحاول كاتب الحدوتة خِداع الناس بالقول بأن القرآن الكريم يشهَد لعيسى - عليه السلام - بما يعتقده النصارى المثلِّثون فيه فهو تزييف وتدليس حقير، ولو كان هذا صحيحًا فلماذا يا تُرى يتطاول الأنبا الحقير على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام؟ لكن لأنه يكذِب نراه يَتناقض، وهذا شأن اللص حين يُضبَط مُتلبِّسًا بجريمته، فهو يدافع عن نفسه بكلام لا منطق فيه، ويتخبَّط في هذا الدفاع بكلمة من الشرق وكلمة من الغرب.

- ومرة أخرى يعود كاتب الحدوتة إلى الزعم بأنه "لما كنا ذوي أجسام وجب عند حكمته أن



يخاطِبنا بجسم؛ لأن اللاهوت عادم الجسم كما أن جوهر النار لا يعلن ولا ينتفع الناس منه إن لم يظهر في مادة من المواد، فأرسَل الله ابنه وحبيبه الذي هو كلمته وروحه إلى مريم العذراء حسبما يشهَد بذلك نبيك وكتابك بقوله: "ومريم ابنه عمران التي أحصنتْ فرجَها فنفخنا فيها من روحنا" [سورة التحريم]، ويقول أيضًا: إن الله اصطفى كلمته وروحه الخالِقة الأزلية وحلَّت في بطن مريم، ومع حلولها اتخذت جسمًا من طبيعة آدم بريئًا من الخطيئة وكوَّنته كما شاءت، واحتجبت الكلمة والروح اللطيف بذلك الجسم واتَّحدت به، ولم يتقدَّم الجسم قبل حلول الكلمة والروح بل مع حلول كلمة ورُوح الله الخالقة تكوَّن الجسم.

– ومثال ذلك يكون الضوء في البرق وظهور الضوء مع حضور النار، واتَّحد اللاهوت بالناسوت المأخوذ من طبيعة آدم اتِّحادًا بلا اختلاط؛ لأن الطبيعة الإلهية لم تنتقِل إلى طبيعة الجسم الآدمي، ولا طبيعة الجسم الآدمي انتقَلت إلى طبيعة اللاهوت، بل صار كل منهما مالكًا خاصته وطبيعته، مثال ذلك أنك إذا أخذت سيفًا أو سكينًا وأحميتَهما بالنار حميًا بليغًا صار ذلك السيف أو السكين يفعل فعل الحديد وفعل النار فيقطَع ويحرق، ولم تنتقِل طبيعة الحديد إلى طبيعة النار، كذلك الجسد المأخوذ من طبيعة آدم صار يفعل فعل اللاهوت باتِّحاده باللاهوت، وبيان ذلك أن المسيح أقام الموتى وشفى البُرص والمرضى وفتح عيون العميان بوضع يده، وبتوسُّط ذلك الجسم المقدس نحن نسجد لإله متأنِّس، فإن عزلت بوهم ذلك الجسم عن كلمة الله وروحه، فإنه غير مسجود ولا معبود، ولكنَّا نعتقِد أن الواحد إله، والآخر تألَّه بحلول الإله فيه، فإذا أخذت خمس حبَّات مسك ثم وضعتها في خزانة وأدخلتها في منديل ألا تحصل رائحة في الخزانة والمنديل؟

– قال المسلم: نعم.

– قال الراهب: فإذا كان المسك الذي هو مادة من المواد المخلوقة يملِك هذه القوة والفعل، فكم تقدر كلمة الله روحه الخالقة الأزلية إذا اصطَفَتْ لها مسكنًا وحلَّت فيه لأجل قصْد اعتمدته من السياسة والتدبير؟".

– وقد سبَق أن رددنا على حكاية الضرورة التي توجِب إرسال جسم إلى البشر حتى يفهموا، ومع ذلك فلا بأس أن نُعيدَ هنا ما قلناه قبلاً من أن الرسل ذوو أجسام مثل سائر البشر، ومن ثم كانت



فيهم الكفاية لتأدية المهمة التي يتحدَّث عنها الأنبا، ولا حاجة إلى تجسُّد الله، وإلا فما القول في الرسل السابقين؟ أكانوا آلهة متجسِّدين؟ إذًا فالمسيح لا ينفرد بهذه الميزة؟ أم أدَّوا المهمة رُغم أنهم كانوا بشرًا؟ إذًا فالمسيح مثلهم، قام بنفس المهمة التي قاموا بها، ولا معنى للزعم بأنه من طبيعة إلهية نزولاً على حكم الضرورة التي يدلِّس بها الأنبا الدجال؛ لأنه لا ضرورة هناك كما هو واضح، أما قوله: "أرسَل الله ابنه وحبيبه الذي هو كلمته ورُوحه إلى مريم العذراء حسبما يشهَد بذلك نبيك وكتابك بقوله: "ومريم ابنة عمران التي أحصنتْ فرجها فنفخنا فيها من روحنا" [سورة التحريم]، ويقول أيضًا: إن الله اصطفى كلمته وروحه الخالقة الأزليَّة وحلَّت في بطن مريم، ومع حلولها اتَّخذت جسمًا من طبيعة آدم بريئًا من الخطية وكوَّنته كما شاءت، واحتجبت الكلمة والرُّوح اللطيف بذلك الجسم واتَّحدت به، ولم يتقدَّم الجسم قبل حلول الكلمة والروح، بل من حلول كلمة وروح الله الخالقة تكون الجسم"، فهو كذِب مثلَّث؛ لأنه لا وجود لهذا الذي يقول في أي موضع من القرآن، وإلا فليدلنا هذا الكذاب الذي لن يكسِّبَه ربُّنا أبدًا على الآيات القرآنية التي تقول: إن الله أرسَل ابنه وحبيبه الذي هو كلمته وروحه... إلى آخر هذا الكلام الذي نعدُّه كفرًا وشركًا يُردي في جهنم، لقد نفى القرآن نفيًا مُطلقًا أنْ يكون عيسى ابن مريم ابنًا له - سبحانه - قائلاً: إن السموات يكدن أن يتفطَّرن وتنشقَّ الأرض وتخر الجبال هدًّا أن دعا الكفار لله ولدًا؛ إذ لا ينبغي أن يتخذ الله ولدًا، بل كل من في السموات والأرض بما فيهم عيسى ابن مريم سوف يأتي اللهَ يوم القيامة عبدًا، ولسوف يسأل الله عيسى ابن مريم ساعتئذ: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة: 116]، ولسوف يردُّ عليه في منتهى الخشوع والعبودية: {سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوب} [المائدة: 116]، كذلك لم يقُل القرآن قط: إن عيسى ابن مريم "روح الله"، بل قال: "روح منه"، مثلما قال أيضا عن آدم: {وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} [السجدة: 9]، فهذا هو الذي يقوله القرآن، بخلاف ما يقوله الأنبا الكذاب، الذي ليس له من مكان يليق به إلا المراحيض!

- أما كيف تكون الطبيعتان الإلهية والبشرية للسيد المسيح متَّحدتَين دون أن تختلِطا، فهذا ما أتركه



لذهن الأنبا الغبي، أما نحن فنربأ بأذهاننا أن نؤمن بهذا، اتِّحاد ولا اختلاط؟ الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلْفه أنه لا اتحاد هنا ولا اختلاط على أي وضْع من الأوضاع – تعالى الله عن ذلك – ونستغفره – سبحانه – عن كتابة هذا الكلام رُغم أننا لا نؤمن به ولا نتصوَّره مجرد تصوُّر ولا ندري كيف يكون، إن الاتحاد معناه أن الطبيعتين أصبحتا شيئًا واحدًا: فإما أن تكونا قد أصبحتا كلتاهما إلهية، وإما أن تكونا قد أصبحتا كلتاهما بشرية، وإما أن تكونا قد تقابَلتا في منتصف الطريق على طريقة الحل الوسط وأصبحتا شيئًا ثالثًا لا هو إلهي خالِص ولا هو بشري محض، وليَحُلَّ لنا هذا المأفون هذه المعضِلة، ولقد أتى الأنبا بعد كل الذي قال فزعم أنهم حين يَسجدون لعيسى إنما يسجدون "لإله متأنِّس"! إذًا فقد تأنَّس الإله، أي تحوَّلت طبيعته من الإلهية الخالِصة إلى الإلهية المتأنِّسة، ولم نعد أمام إله صافي الألوهية، بل إله" نصف نصف"! لكن الأنبا الملتاث يعود فيقول: إنهم يعتقدون "أن المسيح ذو طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية تسجُد لهما مع استقرار ونفوذ إحداهما في الأخرى بغير اختلاط ولا انفصال"، وكأنك يا أبا زيد لا رحت ولا جيت!

– ثم هذا الإنسان الذي تألَّم على الصليب وأُهين وقُتل، ما ذنبه ما دام غير إلهي؟ إن الذي شعَر بالألم هو هذا الآدمي لا الله، أليس كذلك؟ فأين الرحمة الإلهية في عملية الصَّلب إذًا إذا كان الله قد أراد أن يخلِّص البشر من خطيئتهم الأولى من خلال تحمُّله هو نفسه لها دونهم ثم غافَلهم فأحضر بشرًا مثلهم تعذَّب نيابة عنهم؟ لقد وعد أن يحمل عن البشر جميعًا خطيئتهم ثم سهَّاهم وحمَّلها واحدًا منهم؛ أي إنه حمَّل خطيئة البشرية واحدًا فقط من البشرية وترك الباقين، وبهذا يكون قد كذَب فيما قاله، وعجَز عن الوفاء بما وعد، وظلَم المسكين الذي كُتب عليه الصلب والضرب والشتم والإهانة والصفع والطعن وحده دون باقي البشر.

– وعندما ينكِر الشيخ على الراهب البكاش تسمية النصارى للمسيح: "ابن الله" يردُّ عليه الأنبا الكذاب الذي لا يعرف شيئًا اسمه الحياء قائلاً: إن محمدًا قد قال في قرآنك: "إن الله لو أراد أن يتخذ له ولدًا لاصطفاه من ولد آدم" [سورة الزمر]، أفتنكِر أن الله اصطفى كلمته ورُوحه وسمَّاها ولدًا له؟ وإنما نبيك محمد، لما عرف من غِلَظ فَهمك وكثافة عقلك، لئلا تتصوَّر في الله ولادة



جسمية، قال لك: قل: هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد"، فانظر مدى الوقاحة التي يتمتع بها كاتب هذا الهراء؛ إذ لا يبالي أن يكشف المسلمون كذِبه وتضليله وتدجيله، فتراه يمضي ساخرًا متهكِّمًا، وكأنه صاحب حق، ثم إنه بعد ذلك يريد أن يوهِمنا أن التوحيد غِلَظ في الطباع، أما التثليث والتجسيد وعبادة البشر فهو الدليل الذي لا يُردُّ ولا يصدُّ على أن صاحبه عبقري عميق الفَهم رقيق العقل، هذا وصواب الآية الكريمة هو: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر: 4]، فأين زعْمه أن الله لو أراد أن يتخذ له ولدًا لاصطفاه من ولد آدم؟ وعلى أية حال فوجود حرف "لو" في الجملة معناه أنه - سبحانه - لم يُرِد، ومن ثم لم يتخذ ولدًا، وهذا الحرف يسمَّى: "حرف الامتناع للامتناع"؛ أي إن اتِّخاذه - سبحانه - الولد امتنَع فلم يقع؛ لأن مشيئته لذلك امتنعَت بدورها فلم تتمَّ، كما أن قوله عقِب ذلك: {سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر: 4]، هو تأكيد آخر على أنه - سبحانه وتعالى - واحد أحد لا اثنان ولا ثلاثة بأية صورة من الصور!

- ولا تتوقَّف وقاحة راوي الحدوتة عند هذا الحد، بل يستمر في الغرور والنَّرجسية زاعمًا أنه صياد ماهر لا يستطيع الظبي - الذي هو الشيخ - إلا أن يقع في يده ويستسلِم للذبح والسلخ والطبخ، يقول الشيخ: "إنه يصيدُني بأقواله، ويجادِلني من قرآني كأنه صياد يحاول الظبي ويأخذ عليه الدروب ومخارج السُّبل، فلا شك أن له تابعًا من الجن"، وينتشي الراهب فيمضي في الغرور والنرجسة قائلاً: "ولهذا تعِبت في إطالة الشرح لكي أَصيدك وأُدنيك مني وأُوقفك على ما أنا عليه لتعرف الصدق والحق وتختاره طائعًا"، ما كل هذا التواضع يا مولانا؟ ثم يستمر في الوقاحة والكذب فيقول للشيخ: إن " كتابك ونبيك يشهدان لديني بالحق اليقين بقوله: إن الله حقَّق الحق بكلمته ورُوحه"، يا للوقاحة والكذب! تُرى أين في القرآن، أو حتى في السنَّة، هذا الذي يقول؟ ألم يقرأ قوله - تعالى -: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: 17]؟ إن هذه الآية وحدها لكفيلة بإخراس ذلك المدلِّس! وإذا كان الرسول محمد - عليه وعلى أخيه عيسى الصلاة والسلام - يشهَد لكتاب

النصارى الحالي بالحق، ويوافِقهم على تأليههم لعيسى، فلم لا يؤمن هذا الراهب بمحمد إذًا ويكُف هو وأمثاله عن التطاول عليه وعلى الكتاب الذي جاء به؟ ألا لعنةُ الله على كل مفترٍ كذاب!

- ثم يأخذنا ملفِّق الحدوتة في جولة من جولات الحكايات الشعبية المسلية؛ فيحكي لنا قصة عن إبليس مسرِفة الطول لا يهمنا منها إلا ما انتهت به من قضاء الله على قوة الشر في العالم بمجيء المسيح (الذي هو الله عندهم) ووقوعه - سبحانه - في قبضة إبليس وحبس هذا له في هاوية الجحيم فترة من الزمن وتعذيبه وإهانته إياه، ثم مكاشَفة الله له في النهاية بحقيقته الإلهية التي كان يجهَلها اللعين، وحُكمه - سبحانه - عليه بالبقاء في الجحيم أبد الآبدين قائلاً: "أنا لا أحكُم عليك إلا بما حكَمت عليَّ؛ لأن ظلْمك يعود إلى رأسك، وجَورك يرجع إليك، وتكون في هذه الهاوية دائمًا مؤبَّدًا مغلولاً بتلك الرباطات، ومع كلام الملك حصل القول في ذلك المارد فعلاً، وأمَر الملك بخراب ذلك السجن وبإطلاق من فيه وأن يُدْرس درسًا كليًّا، وعاد الملك إلى قصره قاهرًا ظافرًا"، الله أكبر! لم يبقَ إلا أن يُحبس الإله ويصفَّد في الأغلال في قعر الجحيم! أيُّ إله هذا يا تُرى؟ كذلك فمعنى أن الله عاد في النهاية إلى قصره قاهرًا ظافرًا أنه قبل ذلك لم يكن قاهرًا ولا ظافرًا، وهذا أمر طبيعي حسب عقيدة الأنبا المأفون، فقد حبَس الشيطانُ اللهَ كما رأينا في الهاوية وقيَّده وعذَّبه، أستغفِر الله العظيم من كل كفرٍ عظيم! ومعنى هذا أيضًا أن إبليس قد اندحر منذ ذلك التاريخ اندحارًا نهائيًّا، وهو ما تكذِّبه حقائق الحياة، وإلا فما معنى أن الأديان الأخرى غير النصرانية لا تزال موجودة؟ أليست هذه الأديان في اعتقادهم من صنع الشيطان؟ والنصارى أنفسهم، أوَقد أصبحوا ملائكة طُوباويِّين لا يُخطئون، ولا يكذبون، ولا يسرِقون ولا يَنمُّون، ولا يغتابون ولا يُنافِقون، ولا يزنون ولا يشربون الخمر، ولا يتظالَمون أو يتحاقدون؟

- أما في القرآن فقد طلب الشيطان في بَدء الخليقة من ربه أن يُمهِلَه إلى يوم البعث، فوعده الله بذلك؛ أي إن الشيطان لم تتمَّ هزيمته النهائية بعدُ كما يزعُم الأنبا في كلامه الطفولي، وهذا ما نلْمسه في الحياة من حولنا لمسًا، يقول - سبحانه - في سورة "الحجر": {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى



يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: 28 - 48].

- ويستمر المدلِّس في الكذب والجهل فيزعُم أن عقيدة الصليب كانت موجودة على عهد موسى - عليه السلام - إذ شقَّ بعصاه البحر عرْضًا حتى عبَر بنو إسرائيل، ثم عاد بها عليه بعد ذلك طُولاً فالتأم، فرسمت العصا بهذه الطريقة صورة الصليب، وحصلت البركة، وأنقَذ الله بني إسرائيل من الهلاك على يد فرعون، الذي كان يُطارِدهم، ويريد أن يَفتِك بهم، وبالمِثل كانت هناك حيات كثيرة في البرية بعد الخروج تلدغهم لدغًا مُهلِكًا لولا أنَّ موسى وضَع إحداها على رُمحه عرضًا، بعد أن كان قد وضعها بالطول فلم تأتِ بنتيجة، وهذا نص كلام الكذاب: "وقد وجدنا في القديمة فعلاً إلهيًّا رسما له من شق البحر بالعصا طولاً ثم طقه بعودتها عليه عرضًا"؛ (خر 4، 21 - 27)، ولما كان موسى وشعبه في البرية معسكرًا خرجت عليهم حيَّات تلدَغ الشعب لدغًا مُميتًا، فقال الله لموسى: اصنَع لك حية من نحاس وارفَعها على رمح عالٍ، فإنَّ كل من نظر إليها من الشعب ما يموت من نهْش الحيَّات ولدْغها، فصنع موسى الحية ووضَعها على رمح طويل فما أغنت الشعب شيئًا، فقال الله لموسى ضع الحية عرضًا، فلما وضعها عرضًا وصارت برسم صليب لم يمت من الشعب أحدٌ (عدد 21، 6 - 9)".

- والآن تعالَوا إلى النصَّين في الكتاب المقدَّس ليرى القارئ بنفسه مدى خِيانة هذا الراهب وتدليسه، ونبدأ بالنص الأول الخاص بانشقاق البحر والتئامه، وهو موجود في الإصحاح الرابع عشر من سِفر"الخروج" لا الرابع كما جاء في الحدوتة التافهة: "[21]ومد موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسةً، وانشقَّ الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسَط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، [23]وتبِعهم المصريون



ودخلوا وراءهم، جميع خيل فرعون ومركَباته وفرسانه إلى وسط البحر، [24]وكان في هَزِيع الصبح أن الرب أشرَف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب، وأزعَج عسكر المصريين، وخلَع بكر مركباتِهم حتى ساقوها بثقلة، فقال المصريون: "نهرب من إسرائيل، لأن الرب يُقاتِل المصريين عنهم"، [26]فقال الرب لموسى: "مدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين، على مركباتهم وفرسانهم"، [28]فمدَّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصُّبح إلى حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه، فدفع الرب المصريين في وسَط البحر، [28]فرجع الماء وغطَّى مَركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر، لم يبقَ منهم ولا واحد، [29]وأما بنو إسرائيل فمشَوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم"، وكما يلاحظ القارئ بنفسه لا وجود لما افتراه الكذاب على أي نحو، فليس في النص ذكرٌ لطول أو عرض، وإلى القارئ مرة أخرى ما قيل في انشقاق البحر والتئامه: "ومدَّ موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة وانشقَّ الماء، فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة".

- ثم نثنِّي بالنص الثاني الخاص بالحيات والرمح: "[6]فأرسَل الرب على الشعب الحيات المحرِقة، فلدَغت الشعب، فمات قوم كثيرون من إسرائيل، [7]فأتى الشعب إلى موسى وقالوا: "قد أخطأنا إذ تكلَّمنا على الرب وعليك، فصلِّ إلى الرب ليرفع عنا الحيات"، فصلَّى موسى لأجل الشعب، [8]فقال الرب لموسى: "اصنَع لك حية محرِقة، وضعْها على راية، فكل من لُدِغ ونظَر إليها يحيا"، [9]فصنع موسى حية من نحاس ووضَعها على الراية، فكان متى لدغت حية إنسانًا ونظر إلى حية النُّحَاس يَحْيا"، هيه؟ ترى أين الطول والعرض في هذا الكلام؟ وحتى لو كان الكلام الذي زعمه هذا المدلِّس عن الصليب في هاتين القصتين صحيحًا، فكيف فاته أن الصليب دليل على أن من مات عليه فهو ملعون من الله؛ كما قال الكتاب المقدس نفسه؟ جاء في سِفْر "التثنية" (21/ 23): "وإذا كان على إنسان خَطِيَّة حقُّها الموت، فقتِل وعلقتَه على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفِنه في ذلك اليوم، لأن المعلَّق ملعون من الله"، تُرى هل من الممكن أن تتحوَّل اللعنة إلى بركة؟



- ونضحك كثيرًا حينما نسمع الراهب يسأل الشيخ المسلم عن الدين الذي يعُدُّه حقًّا بين الأديان الأربعة: الإسلام أم النصرانية أم اليهودية أم الصابئة؟ فيردُّ الشيخ قائلاً: "ما أَعلم"! ترى هل هذا ممكِن الحدوث، وبخاصة بعد أن كان الشيخ لتوِّه يُنافح عن دينه، ويؤكِّد أنه هو وحدَه الدين الصحيح؟ وها هما ذان سؤال الراهب وإجابة الشيخ عليه: "قال الراهب: صدَقتَ في قولك: إن كل ذي دين يحقِّق دينه ويُحامي عنه، والأديان أربعة: صابئ ويهودي ومسلم ونصراني، فأي منها عندك الدين الحق الموضوع من الله؟ قال المسلم: ما أعلم"، وكان الشيخ المسلم قبل ذلك قد أكَّد - كما قلتُ - أن الإسلام هو ذلك الدين الحق لا سواه: "قال المسلم: السماء والأرض والملائكة والناس يشهدون أن ديني وكتابي هو الحق اليقين، وإن الله - تعالى - أنزَله على نبيه محمد المصطفى نورًا وهدًى ورحمة من رب العالمين"، كيف يكون ذلك؟ وأخيرًا فليست هذه الحدوتة هي المساجَلة الوحيدة المزيَّفة من نوعها، فقد صنَع السريان مثلاً مساجلة أخرى بين شخصين وهميِّين هما عبدالله إسماعيل الهاشمي وعبدالمسيح بن إسحاق الكندي، وزعموا أنها وقعت في عصر المأمون؛ (انظر د. محمد أبو شامة في مقدمة الكتاب الذي حقَّقه لأبي عبيدة الخزرجي باسم "بين الإسلام والمسيحية" / مكتبة وهبة/ 43 بالهامش).

- ولا يرضى الكاتب الكذاب أن تنتهي الحدوتة دون كذْبة تليق بالمقام، فجاءت نهايتها على النحو التالي: "قال المسلم: لقد علِم الله - تعالى - أنك قد أزعجت فكرنا وزعزَعت لُبَّنا بما أحسنت في الخطاب وإيراد الجواب، فلم يبقَ بنا عندك سؤال، ولله درُّك، فقد أفخرت أهل دينك، وجمَّلت أوطانك، وزيَّنت إخوانك، ولولا نحن على سفَر لسألناك في المقام عندنا؛ رغبة بقُربك إلينا، وصرَّفناك فيما يخصُّنا من مال ودار.

- قال الراهب: جزاك الله عنَّا خيرًا وإنعامًا، لقد قابلتمونا بالإحسان، وإن كنا أسأنا في الخطاب وأغلَظنا في الجواب (انظروا إلى الأدب الكاذب الذي نزَل على ذلك الخبيث فجأة!)، فهذا من شيمة أهل الأدب والأحساب والأنساب، فإلى أين السفر؟

- قال أبو ضاهر: إلى مكة أنا والشيخ أبو سلامة نزور البيت الحرام.

- قال الراهب: يُوحِشني بُعدُكم، ويَثقُل عليَّ فِراقكم، فقد كنتُ آنستُ بكم.



– قال أبو ضاهر: يا ليتك أن تَصحَبنا فنأنَس بك، وتأنس بنا.

– قال الراهب: إن رضيتُم بصحبتي صحِبتُكم، وساويت ذاتي بكم.

– فهلَّلا وكبَّرا.

– قال أبو ضاهر: ورب الحج إن صحِبتني كفيتك كلفة ما تحتاج إليه من ركوب وماء وزاد، فتشرَح صدرَك، وتطيب نفسك، وتقر عينك، وتعِز عليك ذاتك، فأفرِج عنك من عيشتك القشفة وحياتك المتعبة، وأُريك ما لم تره بنظرك من الآيات والمعجزات.

– قال الراهب: فقل لي يا أبا ضاهر بحقِّ دينك: ماذا تُريني بمكة من الآيات؟

– قال المسلم: أنا، يا راهب، قد حجيت إلى مكة مرتين، وهذه الثالثة، ولست أنا جاهلاً بها، بل خبير بما فيها.

– قال الراهب: فقد زدتني رغبة فيك وقُربًا إليك، فصِف لي ما هناك وما نراه أولاً وأخيرًا.

– قال المسلم: أول ما أُريك من المطربات أنني أُجيزك الحجاز، وأُريك الحجازيات اللاتي تشوق إليهن الصفاة، وتُسَر بهن النفوس، ويَليق بهن الملبوس، لُطاف نظاف، ملاح ظُراف، كأنهنَّ حور العين، في جنة الصالحين.

– قال الراهب: فهل نجد عندهم مقامًا؟

– قال المسلم: مهما شئتَ.

– قال الراهب: هازئًا به، وذاك لا يعلَم بمراده: وماذا تُريني بعد الحجازيات؟

– قال المسلم: وترى، يا راهب، الحج يجتمع في مِنى في صباح ذلك اليوم، وترى فإذا الحج طوائف يسيرون ويُصفِّقون بالكفوف، ويضربون بالدفوف ويقولون: يا صباح البركات، من منى إلى عرفات!

– قال الراهب: ومن عرفات إلى أين؟

– قال المسلم: إلى مكة.

– قال الراهب: وماذا تريني بمكَّة؟

– قال المسلم: أُريك الحجَرَ الأسود وبئر زمزم والعروة الوثقى والكوز الأخضر والكعبة وظهر الجمل



وقبر الحسن والحسين".

– فانظر – أيها القارئ – مدى الضلال الذي يتَّصف به ذلك الجامد! أهناك بالله عليك مسلم (بله أن يكون ذلك المسلم عالِمًا، بل إمامًا من أئمة المسلمين شديد التعصُّب لدينه يجادِل عنه أعنفَ جِدال، لا واحدًا من عوام الناس) يقول: إنه يذهب للحج كي يستمتع بمرأى النساء هناك، فضلاً عن أن يشتغِل قوَّادًا على المسلمات العفيفات لنصراني كافر؟ ولا يكتفي الراهب الكذاب بأن قد فضَحه الله هذه الفضيحة المخزية، بل يضيف لها فضيحة أخرى أشد إخزاء؛ إذ يزعُم أن الشيخ المسلم قد وعده أيضًا أن يُريه في تلك الرحلة قبر الحسن والحسين في مكة مع الكعبة والكوز الأخضر، فهل قبرا الحسن والحسين في مكة؟ وأين يا ترى يوجد الكوز الأخضر هذا؟ وما وظيفته؟ كذلك فالمسلمون لا يقولون: "حور العين" ولا "بيت الحرام" كما جاء على لسان الشيخ في الحدوتة المتخلِّفة تخلُّف عقول أصحابها، بل "الحور العين" و "البيت الحرام"، ليس ذلك فقط، بل اقتضت مشيئة الله أن يَزداد هذا الكذاب انغماسًا في حمأة الفضائح، فنراه يزعُم على لسان الشيخ أن الحُجاج ينطلِقون من مِنًى إلى عرفات، عاكسًا بجهله الفاضح اتِّجاه سير الحجيج؛ لأن الوقوف بعرفات إنما يأتي قبل المبيت بمنًى كما هو معروف، وفضلاً عن ذلك فإن الحُجاج لا ينطلِقون من عرفات إلى منًى مباشرة، بل يذهبون أولاً بعد الغروب إلى المزدلِفة؛ حيث يُصلُّون المغرب والعشاء جمعًا ويَبيتون، ثم يواصِلون رحلتهم من هناك إلى منًى، وهذا الخطأ الأبله مما لا يمكن أن يقع فيه مسلم عادي، فما بالك بشيخ من أئمة المسلمين سبَق له الحج قبل هذا مرتين كما جاء في الحدوتة؟ وعليه فالسُّخف الذي يقوله عن الغناء وضرب الدف والتصفيق بالكف وما إلى ذلك لا منبَع له إلا عقله المخبول الذي زيَّن له الكذِب، فادَّعى أن الأمير قد أمَّن على كلامه، وأبدى إعجابه بردوده المفحِمة، ولم يرَ فيها شيئًا ينبغي تصويبه: "أَجدتَ، يا راهب في كلامك، وأحسنتَ في جوابك، وأبلغت في خِطابك، وزيَّنت وطنك ودينك، ومثلك يجب والله أن يكون إمام النصارى ومقدَّمَهم ومن يُخاطَب في الدِّين عنهم، فسلنا ما شئت، فعندنا ما تُحب"! وفوق هذا فالحدوتة المتخلِّفة تزعُم أن الأمير قال للأنبا: "زيَّنت وطنك"، وكأنه كان للأنبا وطنٌ آخر غير المملكة الأيوبية المسلمة! أرأيت، أيها القارئ، كيف يَسقط كاتب الحدوتة سَقْطة مُخزية مُدوية في

كل خطوة ينقل فيها قدَمه! ثم إن الكاتب الحقود، بعد ذلك كله، يأبى إلا أن يخِز المسلمين وخْزة سامَّة، فيقول: إنَّ الراهب كان يسخر من أبو ضاهر وهو من بلادة عقله لا يدري، الواقع أن البليد العقل ليس شخصًا آخر سواه هو وراهبه.